صلاح أبو السعود

قصة الطوفان

في نصوص الأسطورة والتوراة و القرآن



مكتبة النافذة

http://kotob.has.it

قصة الطوفان

تأليف

صلاح أبو السعود

الناشر

مكتبة النافذة

http://kotob.has.it

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

أبو السعود/ صلاح

قصة الطوفان/ تأليف: صلاح أبو السعود

ط ١_ الجيزة: مكتبة النافذة 2009

مج 14 سم

تدمك 6 _ 218 _ 436 _ 977 _ 978

1_ الطوفان

أ_ العنوان

ديوي 904,5

قصة الطوفان

صلاح أبو السعود

الطبعة الأولى: 2010

رقم الإيداع: 2009/22819

الناشر

مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

2 ش الشهيد احمد حمدي _ الثلاثيني _ ميدان الساعة

الطالبية _ فيصل _ الجيزة _ مصر

هاتف: 37247803 فاكس: 37827787

موبيل: 0123595973

Email: alnafezah@hotmail.com

http://kotob.has.it

مقدمة

حتى عام 1872م لم نكن نعرف من مصادر الطوفان إلا مصدرين فقط هما القرآن الكريم، ونصوص التوراة؛ إلى أن أعلن «جورج سميث Gorge Smith» اكتشافه لأحد الألواح الآشورية مدونًا عليه رواية الطوفان، وكان هذا اللوح هو اللوح الحادي عشر من الألواح التي حوت ملحمة «جلجامش»، وكان بطل الطوفان في هذه الرواية يدعى «أوتو - نبشتم».

وإلى جانب هذا اللوح وجد نص آخر سومري مكتوبًا على لوح واحد فقط اعتراه الكثير من النقص والتشوه، وعرفت هذه القصة بين الباحثين باسم أسطورة «زيو - سدرا».

وإلى جانب هذين النصين نص ثالث عبارة عن قصة بابلية مطولة، عرفت بين الباحثين باسم أسطورة «أترا - حاسس».

وتتشابه الروايات الثلاث مع بعضها في معظم تفاصيلها، كما أن هناك تشابهًا لا يمكن إنكاره بين هذه الروايات من جهة، وبين رواية الطوفان في نصوص التوراة، بل ونصوص القرآن الكريم، مما يمكننا معه القول بأن هذه النصوص الأسطورية ما هي إلا صدى لأحد الكتب السماوية الأقدم عهدًا من

http://kotob.has.it

التوراة، ومن القرآن.

وفي هذا الكتاب ستجد مقارنة بين المصادر الثلاثة التي جاءت إلينا بقصة الطوفان، أعني الأسطورة، والتوراة، والقرآن، وذلك لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بين مختلف النصوص.

والإشكالية التي وضعناها نصب أعيننا حال قيامنا بإجراء هذه المقارنة تمثلت في التساؤل الآتي: هل كان الطوفان حادثًا عالميًا، أم كان مجرد حدث إقليمي؟ فهل شمل جميع أرجاء الأرض أم اقتصر الحدث على رقعة صغيرة وقوم معينين؟

وكانت الإجابة هي محدودية هذا الحدث وإقليميته، وليس كما يعتقد الكثيرون في أنه كان حدثًا عالميًا أباد كل المخلوقات الموجودة على ظهر كوكبنا.

وأثناء بحثنا هذا توصلنا إلى عدد من الحقائق التي غفل عنها الكثيرون من مفسري القرآن، نذكر منها:

1 - أن الطوفان لم يُغرق كل من لم يركب مع نوح عليه السلام، فهناك من لم يركب السفينة، وكان حاضرًا للحدث، ومع ذلك كتبت له النجاة.

2 - هناك من نجا مع نوح عليه السلام في السفينة رغم أنه لم يكن من المؤمنين.

3 - إن امرأة نوح عليه السلام والتي يعتقد كثيرون بغرقها مع من غرق، كانت من الناجين.

وبما أننا قد اعتمدنا الأسطورة كمصدر من مصادر المقارنة في هذا البحث، فقد بدأناه بفصل أول عرضنا فيه مختلف النظريات التي حاولت تعريف الأسطورة.

http://kotob.has.it

والفصل الثاني خصصناه لقصة الطوفان كما جاءت في النصوص الأسطورية، وفيه عرضنا لثلاث نصوص: أسطورة «زيو - سدرا»، وأسطورة «أوتو - نبشتم»، وأسطورة «أترا - حاسس»، وسبقنا عرض النصوص بعرض لآلهة هذه الأساطير وأبطالها حتى يسهل على القارئ متابعة النص.

وفي الفصل الثالث عرضنا قصة الطوفان كما جاءت في نصوص التوراة، وسبقناه بتعريف العهد القديم، والتوراة، وكتابتها.

وفي الفصل الرابع عرضنا قصة الطوفان كما جاءت في نصوص القرآن الكريم، وذلك بصورة تفصيلية.

وفي الفصل الخامس قمنا بإجراء المقارنة بين نصوص المصادر الثلاثة لمعرفة أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينها، وذلك من خلال عرض الخطوط العريضة لأحداث الطوفان.

أما الفصل السادس والأخير، فقد خصصناه للمقارنة بين نصوص المصادر الثلاثة ولكن بالنسبة لنقطة واحدة فقط، وهي المساحة التي شملها الطوفان، فهل كان عالميًا أم إقليميًا؟

وبعد، أتمنى أن أكون قد قدمت للقارئ العزيز مادة غنية من خلال قراءة جديدة لنصوص القديمة. هذا وبالله التوفيق.

صلاح أبو السعود
القاهرة - 2009
Email:Salahabosaud@hotmail. com

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الأول

مـــاهية الأسطـورة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الاول

ماهية الأسطورة

قبل أن نعرض لقصة الطوفان كما جاءت في النصوص الأسطورية القديمة يكون حري بنا أن نعرض لمفهوم الأسطورة وأصلها، ذلك أن الكثيرين يعتقدون أن الأسطورة ما هي إلا مجرد قصص خرافية تداولت بين القدماء حتى وصلت إلينا بعد أن عثر عليها المنقبون، وفك رموزها الباحثون، وبعد ذلك أخذنا نتندر بها على أساس أنها دربًا من دروب الخيال.

ولكن وبنظرة متعمقة، وبقراءة تبتعد عن السطحية، سنجد أن الأساطير قد حوت الكثير مما ورد في الكتب السماوية -مع الاختلاف في طبيعة الإله- وبعضها تضمن بعض الوقائع التاريخية، ومن الأساطير ما يعرض لبعض المسائل الفلسفية، ومنها ما ينظر إلى الظواهر الطبيعية على أنها آلهة لها قدسيتها فشادوا لها المعابد، وقدموا لها القرابين، علاوة على أن الأساطير تحوي من الفنون الأدبية ما لا يمكن إغفاله. كل هذا حوته الأساطير القديمة، لذا وجدنا العلماء وهم في سبيلهم إلى تنظير الأسطورة لمعرفة أصلها وماهيتها كانوا ينظرون إلى أحد هذه الجوانب على أنها النقطة التي انطلقت منها الأسطورة، وأنها الأصل لمختلف الأساطير التي جاءت بها البشرية، ولعل

http://kotob.has.it

الأمور ستتضح لنا بصورة أفضل إذا ما عرضنا لأهم النظريات التي حاولت وضع أصل للأسطورة أو المنبع الذي انحدرت منه حتى وصلت إلينا في هذه الصورة.

١ - نظرية الكتب المقدسة:

تذهب هذه النظرية إلى أن جميع القصص الأسطورية مشتقة من روايات الكتب المقدسة، ولكن الوقائع الصحيحة استترت وتغيرت[1] .

وطبقًا لهذا التأصيل يمكننا القول أن قصة الطوفان -التي سنعرض لها في هذا الكتاب- في مختلف الأساطير، ما هي إلى صدى لأحد الكتب السماوية، وأن «زيو -سدرا» ، و «أوتو -نبشتم»، و«أترا -حاسس» ما هي إلا أسماء أخرى لنوح عليه السلام.

2 - النظرية التاريخية:

وهي تذهب إلى أن جميع الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الأساطير، كانوا يومًا ما كائنات بشرية حقيقية، وأن الأساطير والروايات الخرافية المنسوبة إليها، ليست سوى زيادات وزخارف أقحمت في عهود متأخرة[2] .

وطبقًا للمفهوم السابق يمكن القول أن «جلجامش» في رحلته إلى غابة الأرز، وقتله العفريت «خمبابا»، هي مجرد تحوير لرحلة أحد الملوك من بابل إلى لبنان لاستقدام أخشاب الأرز، ولكن الزيادات التي أضيفت إلى هذه

---

(1) توماس بلفينش - عصر الأساطير - ترجمة : رشدي السيسي- مراجعة: د. محمد صقر خفاجة- دار النهضة العربية - القاهرة - 1966 - ص 470 وما بعدها.

(2) السابق .

http://kotob.has.it

الرحلة جعلته يقدم على أمور خارقة، منها قتل العفريت «خمبابا» حارس غابة شجر الأرز.

3 - النظرية المجازية:

وهي تفترض أن كل الأساطير القديمة مجازية ورمزية، واحتوت على بعض الحقيقة الأدبية أو الدينية أو الفلسفية، أو على الواقع التاريخي، في شكل مجاز، ولكن بمرور الزمن استوعبها الناس على أساس ظاهرها الحرفي[1].

وعلى هذا فزحل الذي يلتهم أطفاله، هو نفس القوة التي سماها الإغريق «كرونوس» أو الزمن، الذي يصح القول بحق إنه يدمر كل شيء أوجده.

4 - النظرية الطبيعية:

وبمقتضاها كانت عناصر الهواء والنار والماء هي محط العبادة الدينية، وكانت الآلهة الرئيسية مشخصات من قوى الطبيعة، ويسهل التحول من تشخيص العناصر إلى فكرة الكائنات الخارقة على مختلف مواد الطبيعة وحكمها[2].

واليونانيون -على سبيل المثال- جعلوا الطبيعة بأكملها مأهولة بكائنات غير مرئية، وزعموا أن كل شيء من الشمس والبحر إلى أصغر ينبوع ونهير كان يحظى بعناية إله معين.

---

(1) السابق.

(2) السابق.

http://kotob.has.it

5 - نظرية الطقوس:

أسس هذا الاتجاه فريزر «Frazer» رائد الأنثربولوجيا الحديثة، يقول فريز - ومن اعتنق نظريته- بأن الأسطورة قد استمدت من الطقوس، فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين، وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته، يبدو الطقس خاليًا من المعنى ومن السبب والغاية، فتلح الحاجة لإعطاء تفسير له وتبرير، وهنا تأتي الأسطورة لإعطاء تبرير لطقس مبرر قديم، لا يريد أصحابه التخلي عنه[1].

إن قيام أتباع ديانة «ديونيسيوس» -مثلا- بشرب دم ثور حي بعد تمزيقه، وأكل لحمه نيئًا، بعد ذلك، هو طقس قديم أتت به أسطورة موت «ديونيسيوس» على يد التيتان مفسرة له ومحافظة على حرارته ودفعه. فديونيسيوس يحاول الهرب من التيتان، أعداء أبيه «زيوس»، ولكن عبثًا يغير شكله وهم يتبعونه إلى أن يقبضوا عليه في هيئة ثور فينهالون عليه تمزيقًا ويلتهمونه حيًا ويشربون دمه.

6 - نظرية الغاية العملية:

صاحب هذا الاتجاه هو عالم الأنثربولوجيا الشهير «مالينوفسكي -Malinowski»، ويرى أن الأسطورة لم تظهر لدافع المعرفة والبحث، ولا علاقة لها بالطقس أو البواعث النفسية الكامنة، بل هي تنتمي للعالم الواقعي وتهدف إلى تحقيق غاية عملية، فهي تروى لترسيخ عادات قبلية معينة أو لتدعيم سيطرة

---

(1) فراس السواح - مغامرة العقل الأولى - دار علاء الدين - دمشق - 2002 - ص 14 وما بعدها.

http://kotob.has.it

عشيرة أو أسرة أو نظام اجتماعي وما إلى ذلك، فهي والحالة هذه عملية في منشئها وغايتها[1].

ولعل أوضح مثال على صحة هذا الاتجاه يكمن في أسطورة الخلق البابلية التي جعلت الإله «مردوخ» البابلي هو المهيمن والمسيطر ، وصاحب السطوة على جميع الآلهة، وذلك لتوطيد نفوذ الحكم البابلي في المنطقة.

7 - نظرية الكبت:

صاحب هذا الاتجاه هو رائد مدرسة التحليل النفسي «سيجموند فرويد Sigmond Freud» ، والذي يرى تشابهًا في آلية العمل بين الحلم والأسطورة، وتشابه الرموز لكليهما، فهما نتاج العمليات النفسية اللاشعورية.

ففي الأسطورة -كما في الحلم- نجد الأحداث تقع حرة خارج قيود وحدود الزمان والمكان. فالبطل في الأسطورة ، كما هو حال صاحب الحلم، يخضع لتحولات سحرية ويقوم بأفعال خارقة، هي انعكاس لرغبات وأمانٍ مكبوتة، تنطلق من عقالها بعيدًا عن رقابة العقل الواعي الذي يمارس دور الحارس على بوابة اللاشعور. فالأسطورة والحالة هذه ملأى بالرموز التي إن فسرت، زودتنا بفهم عميق لنفس الإنسان الخافية ورغباته المكبوتة[2].

8 - نظرية اللغة المنسية:

قدم لنا «إريك فروم Erich Fromm» آخر عمالقة التحليل النفسي في كتابة اللغة المنسية (The Forgotten Language) دراسة عميقة للأسطورة،

---

(1) السابق. (2) السابق.

http://kotob.has.it

منطلقًا أيضًا من فكرة فرويد عن العلاقة بين الأسطورة والحلم، مع مخالفته في النظر للأسطورة والحلم على أنهما نتاج العالم اللاعقلاني. فالعقل في حالة الحلم إنما يعمل ويفكر، ولكن بطريقة أخرى ولغة أخرى"[1]

فعندما ندخل ملكوت النوم نتحرر من عبء العمل ومشاغل الحياة اليومية وقلق الصحو، وندلف إلى عالمنا الداخلي بعيدًا عن قواعد الواقع، فتغدو الـ «أنا» بؤرة تفكيرنا فإذا كان الصحو دعوة للعمل والفعل، فإن النوم دعوة للتأمل من نوع خاص يستخدم لغة خاصة هي لغة الرمز.

فالنوم انفلات من هم التحكم بعالم المادة وتفرغ للذات، يجعلنا أكثر شفافية وحساسية، فتغدو معرفتنا بأنفسنا أكثر وضوحًا وصدقًا وحكمة، فحالة السبات هي القطب الثاني لوجودنا في حالة اليقظة، وليست كمًا زمنيًا معطلاً يعطينا الراحة لبدء يوم جديد.

ولغة الرمز، هي اللغة التي تنطلق عن الخبرات والمشاعر والأفكار الباطنية، كما تنطق لغتنا المحكية عن خبرات الواقع مع فارق هام يكمن في شمولية لغة الرمز وعالميتها، وتجاوزها لفوارق الزمن والثقافة والجنس.

والأسطورة -كما الحلم- تكمن أهميتها في تقديمها حكايا تشرح بلغة الرمز حشدًا من الأفكار الدينية والفلسفية والأخلاقية. وما علينا إلا أن نفهم مفردات تلك اللغة، لينفتح أمامنا عالم مليء بمعارف غنية ثرية.

---

(١) السابق.

http://kotob.has.it

هذه هي أهم النظريات والاتجاهات التي حاولت وضع تصور لماهية وأصل الأسطورة، وبإمعان النظر نجد أنه لا يمكن الأخذ بإحداها وإهمال الباقي، إذ أنها تتكاتف معًا لوضع تفسير يوضح لنا كيفية ظهور الأسطورة بالشكل الذي بين أيدينا، فلو أمعنا النظر -مثلاً- في ملحمة «جلجامش» سنجد أنها تحتوي على أحداث تاريخية، منها صراعه مع «أجّا» ملك «كيش»، وكذلك استقدامه لأخشاب الأرز من لبنان إلى العراق، وقد أضاف كاتبو الأسطورة لهذا الحدث قتل جلجامش للعفريت «خمبابا» حارس غابة الأرز. كما نجد في نفس الملحمة طرفًا مما جاءت به الكتب السماوية في خصوص رواية الطوفان.

خلاصة القول، إنه لا يمكن الأخذ بإحدى النظريات على إطلاقها، وترك ما عداها، فالأسطورة متعددة الجوانب، والذي سيقتصر على جانب واحد فقط فلن يستطيع أن يفهم الغايات والأهداف، والأفكار التي تحتويها أسطورة من الأساطير، لذا يجب على القارئ والباحث أن يضع كل الاتجاهات والنظريات السابق عرضها نصب عينيه قبل أن يشرع في قراءة أي أسطورة.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الثاني

قصة الطوفان في النصوص الأسطورية

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الثاني

قصة الطوفان
في النصوص الأسطورية

كان الاعتقاد السائد في أوروبا أن النصوص التوراتية هي المصدر الوحيد لقصة الطوفان، وأنه لا يوجد مصدر آخر لهذا الحدث سوى تلك النصوص، إلا أن الأمر قد تغير تمامًا، وكان ذلك في ديسمبر 1872، عندما أعلن «جورج سميث Gorge Smith» في اجتماع لجمعية آثار الكتاب المقدس أنه: «قد كشف منذ وقت قصير من بين الألواح الآشورية في المتحف البريطاني عن رواية عن الطوفان». وكان ذلك هو اللوح الحادي عشر من التنقيح الآشوري لملحمة «جلجامش»[1].

لم يلبث سميث بعد هذا الإعلان الأول أن نشر كتابه «الرواية الكلدانية عن الطوفان Chaldean Account of the Deluge»، ومعها سرد مجمل قصة

---

(1) ن. ك ساندرز -ملحمة جلجامش - ترجمة : محمد نبيل نوفل، وفاروق حافظ القاضي -دار المعارف - القاهرة - 1970 - ص 11 وما بعدها.

http://kotob.has.it

جلجامش، ولقي الأمر اهتمامًا واسع النطاق، وذلك نظرًا لتشابه تلك الرواية -بدرجة كبيرة- مع ما جاء بنصوص الكتاب المقدس، لكن اللوح الخاص بالطوفان نفسه كان ناقصًا، ولهذا تجدد البحث عن مزيد من الألواح. وأسهمت صحيفة «الديلي تلجراف» بألف جنيه من أجل مزيد من الحفريات التي كان جورج سميث يجريها في «نينوى» لحساب المتحف البريطاني. وقد عثر سميث -بعد قليل من وصوله إلى نينوى- على السطور المفتقدة من وصف الطوفان، وهو الوصف الذي كان -عندئذ- ولا يزال حتى اليوم- أكثر أجزاء ملحمة جلجامش سلامة واكتمالاً[1].

لم يكن اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش هو المصدر الوحيد لقصة الطوفان في النصوص الأسطورية، فإلى جانبها يوجد نص آخر سومري وجد مكتوبًا على لوح واحد فقط اعتراه الكثير من النقص، وتُعرف هذه القصة بين الباحثين باسم أسطورة «زيو - سدرا».

وهناك نص ثالث عبارة عن قصة بابلية مطولة، عرفت بين الباحثين باسم أسطورة «أترا -حاسس».

وتدور أساطير الطوفان -البابلية والسومرية- حول غضب الآلهة على بني الإنسان، واتخاذها قرارًا بتدمير البشرية دمارًا شاملاً، لأنها لم تصن ما منحتها الآلهة إياه، بل أخذت تنشر الفساد في الأرض، ولكن - ورغم هذا- يظهر من بين الآلهة إله محب للجنس البشري، مشفق عليه من هذا الفناء، فرأى -ومعه بعض الآلهة الأخرى- أنه من الحكمة البقاء على الصالح من

---

(١) السابق.

http://kotob.has.it

البشر دون الطالح، فما كان إلا أن اختار أحدهم، وهو بالطبع أشدهم ورعًا، وأوكل إليه مهمة إنقاذ الجنس البشري، فكان هذا المنقذه هو «زيو سدرا» عند السومريين، أو «أتو - نبشتم» أو «أترا -حاسس» عند البابليين.

وقبل أن نشرع في عرض الأساطير الثلاث، والتي حملت أسماء أبطالها يكون حري بنا -حتى يكون القارئ على بينة لما يقرأه- أن نعرض لآلهة قصة الطوفان، ثم لأبطالها.

- آلهة أساطير الطوفان:

- **آنـــــو:** وفي السومرية «آن» هو أبو الآلهة، وإله السماء، ووفقًا لقصة الخلق السومرية كان في البدء البحر القديم، الذي تولد منه -أي البحر- السماء «آن» والأرض «كي»، وقد قام «إنليل» بالفصل بينهما، وبعد ذلك أخذ «آنو» يتراجع عن الصدارة بين الآلهة.

- **إنـــليل:** إله الهواء والعاصفة عند السومريين. يأتي في المرتبة الثانية رسميًا بعد «آنو» إله السماء، ورئيس مجمع الآلهة إلا أن قيام إنليل بتنظيم الكون وإخراجه من المياه الأولى قد أعطاه الأهمية الكبرى في مجمع الآلهة، فحاز لنفسه معظم ما كان لـ «آنو» من هيبة وسلطة، وكذلك بعد أن قام بفعل فصل السماء عن الأرض بعد أن كانا ملتصقين في جبل واحد في قلب المحيط الأول البدئي.

تصور العراقيون القدماء هذا الإله بأنه عنيف شديد الانتقام من خصومه، ويبرز إنليل في قصة الطوفان بذور الساخط على البشرية، فكان يضع الخطة تلو الأخرى في سبيل إفناء الجنس البشري، وكانت حجته في ذلك أنهم قد

http://kotob.has.it

تكاثروا لدرجة أن ضجيجهم حرمه من النوم والراحة.

- **إيا أو إنكي:** إله الحكمة، و«إيا» اسمه البابلي، أما اسمه السومري «إنكي»، وهو يشخص المياه الصافية، وهو إله محب للسلام، عطوف على البشر، وفي أساطير الطوفان نجده هو الذي يوحي إلى بطل الطوفان عن طريق الجدار أو الكوخ بقرب حدوث الطوفان، وما يجب عليه أن يفعله لينقذ البشر من الفناء.

وأصل إيا غامض غير معروف، وإن كان يشار إليه أحيانًا على أنه ابن «آنو»، وكان إيا أيضًا على مستوى خاص، هو خالق البشر، المحسن إليهم.

- **شمش أو «أوتو»:** إله الشمس، وشمش هو اسمه البابلي، وفي السومرية «أوتو»، وهو يظهر هنا كإله عالم بكل شيء، وهو الذي يرى كل شيء، والقاضي الأعظم الذي يلوذ به البشر المظلومون، كي يرفع الظلم عنهم، وهو ابن القمر «سين»، وحفيد «إنليل» الهواء.

- **إنانا أو عشتار:** هي ربة الحب والحرب، وإنانا اسمها السومري، إما اسمها البابلي فـ «عشتار»، وهي مثل «أفروديت» إلهة مرعبة وجميلة.

- **ننتو:** سيدة النسل، ومن أسمائها «مامي»، وقد لعبت في أسطورة «أترا - حاسس» دورًا لا ينكر في خلق الإنسان.

- **نينورتا:** إله الحروب ، وربح الجنوب، إله آبار والري.

- **أدد:** أو حدد، وهو إله العواصف ، والمطر ، والجو.

http://kotob.has.it

- الأنوناكي والايكيكي: اسما جنس أطلقهما العراقيون القدماء على مجموعة آلهة السماء والأرض. وقد لا يميزون في خص إحدى هاتين التسمتين على آلهة معينة، ولكن يغلب إطلاق مصطلح الـ «أنوناكي» على آلهة السماء والـ «ايكيكي» على آلهة الأرض، وهم الآلهة الصغار الذين كانوا يخدمون الآلهة الكبار ويعملون لهم، كما قد يطلقون مصطلح الـ «أيكيكي» على آلهة السماء.

- بطل الطوفان:

بطل الطوفان في مختلف الأساطير العراقية - والتي سنعرض لها- هو شخص واحد، اختارته الآلهة لشدة ورعه، كي يكون هو المنقذ للجنس البشري من الدمار الذي سيلحقه، وإذا كان بطل الطوفان هو دائمًا شخص واحد، إلا أن الأساطير قد اختلفت في اسم هذا الشخص -كما سبق ونوهنا- بحيث حملت كل أسطورة اسم بطلها، فأصبح لدينا ثلاثة أسماء كانوا هم أبطال الأساطير الثلاثة:

- زيو - سُدرا: وهو بطل قصة الطوفان السومرية، ويعني اسمه «الخالد» أو «ذو الحياة الطويلة».

- أترا - حاسس : بطل قصة الطوفان البابلية ، ويرجح أن يكون اسم «أترا -حاسس» صفة مركبة تعني «المتناهي في الحكمة».

- أوتو - نبشتم: وهو بطل قصة الطوفان البابلية، كما جاءت في اللوح الحادي عشر من ملحمة «جلجامش»، حيث كان يروي له أحداث الطوفان كما عاصرها، ويعني اسمه بالبابلية «الذي أدرك الحياة».

والآن، وبعد هذا العرض يكون حري بنا أن نعرض للأساطير التي جاءت إلينا من أرض الرافدين.

http://kotob.has.it

أسطورة الطوفان السومرية
زيــو - سـدار

لم يصل إلينا عن أحداث الطوفان باللغة السومرية سوى نص واحد مدون في لوح طيني، يرجح أنه عثر عليه في المدينة الشهيرة «نفر» بالقرب من عفك. وبيد أن هذا اللوح غفل من التاريخ إلا أن لغته وشكل خطه المسماري يشيران إلى أنه يرقى في تأريخه إلى ما يسمى في تأريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم (منذ مطلع الألف الثاني ق. م إلى منتصفه). وقبل أن نشرع في الخوض في هذه الأسطورة، سنلقي بصيصًا من الضوء على السومريين، وعلى الكتابة المسمارية.

- السومريون:

ويعد السومريون في تاريخ بلاد وادي الرافدين من أقدم الشعوب العريقة التي استطاعت وضع لبنات الحضارة الأولى في القسم الجنوبي من العراق القديم الذي عرف ببلاد سومر، حيث قامت دويلات المدن. والحضارة السومرية تعد -بحق- أساسًا لجميع الحضارات التي ظهرت في العراق القديم وبعض الحضارات التي تأثرت بها من التي جاورتها في أنحاء الشرق القريب، فقد اتصلت الحضارة البابلية والآشورية بالحضارة السومرية، كما اعتمدت الحضارة الحثية اعتمادًا كبيرًا على الحضارة السومرية، كذلك

http://kotob.has.it

اعتمدت بلاد عيلام على تقع إلى الشرق من دجلة على الحضارة السومرية[أ].

وليس في وسعنا رغم ما قام به العلماء من بحوث أن نعرف إلى أية سلالة من السلالات البشرية ينتمي هؤلاء السومريون، أو أي طريق سلكوه حتى دخلوا بلاد سومر. ولعلهم جاءوا من آسيا الوسطى، أو من بلاد القوقاز، أو من أرمينية، واخترقوا أرض الجزيرة من الشمال متتبعين في سيرهم مجريي دجلة والفرات، حيث توجد -كما في آشور مثلاً- آثار دالة على ثقافتهم الأولى، أو لعلهم قد سلكوا الطريق المائي من الخليج الفارسي -كما تروي الأساطير- أو من مصر أو غيرها من الأقطار، ثم اتخذوا سبيلهم نحو الشمال متبعين على مهل النهرين العظيمين. أو لعلهم جاءوا من السوس حيث يوجد بين آثارها رأس من الأسفلت فيه خواص الجنس السومري كلها، بل إنه في الوسع القول إنهم قد يكونون من أصل مغولي قديم موغل في القدم. ذلك بأن في لغتهم كثيرًا من التراكيب الشبيهة بلسان المغول، لكن كل الافتراضات السابقة مجرد تخمينات لا ترقى مرتبة اليقين[2].

(أ) د. عبد الحميد زايد - الشرق الخالد - دار النهضة العربية - القاهرة - 1966 - ص 34.

(2) ول ديورانت - قصة الحضارة - ترجمة : زكي نجيب محمود ومحمد بدران - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2001 - جـ 2 ص 15.

http://kotob.has.it

- الكتابة المسمارية:

كانت الألواح الطينية هي مادة الكتابة في بلاد وادي الرافدين، وقد شاع مصطلح الكتابة المسمارية (Cuneiform) للدلالة على الخط المستعمل في بلاد وادي الرافدين، وذلك في المرحلة التي أصبحت فيها العلامات تأخذ شكل المسامير بسبب النهاية المثلثة لقلم القصب (stylus)، وهذه المرحلة من الكتابة يطلق عليها الطور الصوتي، حيث إن العلامة استخدمت ليس من أجل معناها التصويري[1] أو الرمزي [2]، وإنما من أجل صوتها فقط، وبهذه الوسيلة أمكن كتابة أسماء الأعلام والأشياء على هيئة مقاطع صوتية[3].

وكان عدم توصل سكان بلاد وادي الرافدين إلى الكتابة الهجائية عاملاً معوقًا اضطرهم إلى استخدام أعداد كبيرة جدًا من العلامات المسمارية، وقد بلغ عددها في العصور الأولى من تاريخ الكتابة ما يزيد على 3000 علامة، لكنها لم تلبث أن اختزلت بمرور الزمن حتى أصبحت في نهاية عصر فجر السلالات الثاني (2600 ق. م) في حدود 800 علامة[4].

وكان السومريون في جنوبي بلاد الرافدين أول من استنبط هذا النمط من الكتابة، بدليل أن أقدم النصوص الكتابية التي وصلتنا حتى الآن مدونة باللغة

---

(1) حيث إن التعبير عن الشيء كان يتم برسم صورته.

(2) في الطور الرمزي للكتابة كان يستنبط من الصورة عدة معان جانبية بجانب المعنى الأصلي، فمثلاً، نجد أن العلامة الدالة على الشمس تعبر عن معان مشتقة مها مثل (لامع، ساطع، مشرق..).

(3) د. فاضل عبد الواحد علي- بحث منشور ضمن مجموعة أبحاث تحت عنوان (العراق في التاريخ) - دار الحرية للطباعة - بغداد - 1983 - ص 272 وما بعدها.

(4) السابق .

http://kotob.has.it

السومرية. وقد أخذت الكتابة المسمارية في الانتشار في مختلف مدن بلاد الرافدين، وظلت متداولة فيها إلى عصور متأخرة جدًا. فقد عثر على نصوص فلكية يعود تاريخها إلى سنوا 35 ، 10 ، 9 ، 6 قبل الميلاد [أ].

- مضمون الأسطورة:

تعرف هذه القصة بين الباحثين - كما سبق ونوهنا- باسم ملحمة أو قصة «زيو سُدرا» Ziusudra. وخلاصة القصة أن «زيو سدرا» كان ملكًا صالحًا يخاف الآلهة ويعبدها، وأنه كان -على ما يرجح- يحكم في مدينة «شروباك» (تل فارة الآن بالقرب من الوركاء)، وهي المدينة التي كانت موطن بطل الطوفان البابلي «أوتو -نبشتم» كما سيأتي، كما أنها كانت من المدن الخمس التي حكمت فيها سلالة أزمان ما قبل الطوفان كما جاء في جداول الملوك السومرية.

وتبدأ القصة - كما وردت في النص - بمقدمة قصيرة ناقصة، تروي طرفًا من قصة الخلق، حيث الآلهة «آن» و«إنليل» و«إنكي» والإلهة «ننخرساج» خلقوا البشر والحيوانات، ثم أنزلت بعد ذلك من السماء إلى الأرض، وقدرت الأقدار والمصائر، وأسست المدن الخمس، وحلت فيها الملوكية، وهي: «أريدو» و«باد - تبيرا» و«لرك» و«سبار» و«شروباك»، ويعقب ذلك انخرام في النص يبدو أنه قرار الآلهة بتدمير البشر عن طريق الطوفان، ثم يستقيم النص، لنرى الإله «إنكي» المحب للبشر، يخبر «زيو سدرا» من خلف الجدار بقرار الآلهة في إحداث الطوفان وإفناء البشر، ويأمره ببناء سفينة لينجو بنفسه ومن معه، ثم

(أ) السابق .

http://kotob.has.it

يجئ الطوفان، وعندما ينحسر نجد «زيو سدرا» يسجد أمام الإله «أوتو» «شمش»، ويقرب له القرابين، ويتوسل أمام «آنو» و«إنليل»، ويسجد أمامهما، ثم يمنحاه في النهاية الحياة الخالدة، ويسكناه في أرض «دلمون»(1) الموضع الذي تشرق منه الشمس.

نص الأسطورة (2):

- العمود الأول:

(الأسطر من 7 إلى 37 مخرومة)

أريد أن . . . دمار جنسي من البشر

ومن أجل "ننتو" أريد إيقاف هلاك خلقي

ليشيدوا مدنهم ولتكون ظلالها وافرة

وليوضع آجر جميع المدن في مواضع مقدسة

ليستقر الجميع في أماكن مقدسة

والماء العذب الذي يطفئ الظمأ سأعده هناك

لقد أتممت القوانين المقدسة والنواميس المعظمة

---

(1) أصبح من المؤكد تقريبًا تعيين «دلمون» بأنها في البحرين.

(2) طه : الباقر - ملحمة كلكامش - ط 1 دار - الوراق للنشر المحدودة - لندن - 2006 - ص 238 وما بعدها.

د. فاضل عبد الواحد علي - الطوفان في المراجع المسمارية - جامعة بغداد - 1975 - ص 119 وما بعدها.

http://kotob.has.it

وستروى الأرض، وعزمت على أن يعم السلام

وبعد أن خلق "أنو" و"إنليل" و"ننخر ساج"

ذوي الرؤوس السود[أ]

تكاثرت الحيوانات في كل مكان

وأوجدت الحيوانات من ذوي الأربع ومن كل صنف زينة للسهول

- العمود الثاني:

(يوجد نقص في النص لوجود كسر في اللوح)

أريد أن أرى جهودهم المضنية

(وعلى بنائي) البلاد أن يحفروا أسسًا قوية.

وحين هبطت الملوكية من السماء

عندما نزل التاج العظيم وعرش الملوكية من السماء

.... متممة ...

أسست المدن

عينت مواضعها وسميت بأسمائها

وأعطي أول تلك المدن "أريدو" إلى "نودِمُود"[2]

(أ) تعبير استخدمه العراقيون القدماء للدلالة على البشر.

(2) الإله «نودمـد» Nudimmud من أسماء الإله إنكي (إيا) إله الماء والحكمة، الذي كان=

http://kotob.has.it

والثانية "باد -تبيرا" إلى نوكك"[1]

وأعطي الثالثة "لاراك" إلى "بابل ساك"[2]

والرابعة "سبار" إلى البطل "أوتو"

والخامسة "شروباك" إلى سود"[3]

أجل لقد أعطي الأسماء إلى هذه المدن وعين عواصمها[4]

إنه لم يوقف الفيضان (السنوي ولكنه) حفر الأرض وجلب الماء في الترع

لقد نظم تطهير القنوات الصغيرة وجداول الري

(يوجد كسر في اللوح، ويبدو أنه يتضمن خبر اتخاذ الآلهة قرارًا بإرسال الطوفان لإبادة البشر)

ثم إن "ننتو" . . . خلقها

لقد ناحت "إنانا" المقدسة من أجل الناس

=مركز عبادته «أريدو» (ابو شهرين على بعد 25 كم إلى الجنوب الغربي من أور.

(1) بادتبيرا Badtibira: تل المدينة حاليًا بالقرب من تلو. «ونوكك» من ألقاب الآلهة «إنانا» (عشتار).

(2) لاراك Larak: ربما كانت تل الولاية حاليًا. وبابل ساك Pabilsag اسم لأحد الآلهة.

(3) شروباك Shuruppak: تعرف أطلالها الآن باسم «تل فارة» بالقرب من مدينة الوركاء «أوروك».

و«سود» Sud: هي نفسها الإلهة «ننليل» زوجة الإله «إنليل».

(4) هذا السطر والذي يليه أوردهما د. فاضل عبد الواحد، ولم يردا بترجمة طه الباقر.

http://kotob.has.it

وفكر "إنكي" في الأمر مليًا

و"آنو" و"إنليل" و"إنكي" و"ننخرساج"

وأقسم آلهة الكون باسم "آنو" و"إنليل"

في تلك الأيام كان "زيو -سدرا" ملكًا وقيمًا على المعبد

وكان تقيًا ورعًا يكثر من الدعاء والتضرع

كان يقوم على الدوام خاشعًا (للآلهة)

ولم يكن ماسمعه حلمًا

تعوذ منه بالسماء والأرض

(بعد ذلك يتحدث الإله «إنكي» إلى زيو - سدرا» من وراء الجدار ليعلمه بخبر الطوفان).

- العمود الرابع:

.... الآلهة جدارًا في ..

وسمع "زيو - سدرا" وهو واقف إلى جانبه

كان يقف إلى الجانب الأيسر من الجدار:

"يا جدار أريد أن أكلمك فاستمع لكلامي

وتفهم قولي وإرشادي:

ستهب عاصفة الطوفان وتجرف المدن والمنازل

http://kotob.has.it

وأن تدمير نسل البشرية

هو القرار المحتوم من مجمع (الآلهة)

إنه القرار الذي أصدره "آنو" و"إنليل" و"ننخرساج"

والقضاء على الملوكية ....

(يوجد كسر في اللوح، ويبدو أن «إنكي» قد أعطى التعليمات لـ «زيو - سدرا» حول بناء السفينة، ومن سيركب معه فيها، ثم قيامه ببنائها. وعندما ينتظم النص نجد أنفسنا أمام الطوفان)

وتجمعت كل الرياح والعواصف المدمرة

وجرف عباب الطوفان جميع المدن

وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طوال سبعة أيام وسبع ليال

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

أشرقت الشمس وأضاءت الأرض والسماء.

وأحدث "زيو - سدرا" فتحة في السفينة الضخمة

ودخلت أشعة إلى السفينة العظيمة

فسجد "زيو - سدرا" أمام الإله الشمس

وقرب الملك عددًا كبيرًا من البقر والظأن

http://kotob.has.it

(يوجد كسر في اللوح ، ومن المحتمل أن يكون الجزء الناقص يتحدث عن جفاف المياه وهبوط السفينة إلى الأرض)

أدعوك بحق السماء والأرض السفلى

أتوسل إلى "آنو" و "إنليل" بالسماء والأرض السفلى

وأخرجت الحيوانات وتجمعت من الأرض

وسجد الملك "زيو - سدرا" أمام "آنو" و"إنليل"

اللذين منحاه الحياة الخالدة مثل الآلهة

واللذين رفعاه إلى الحياة الأزلية مثل الآلهة

في ذلك الوقت أسكن (الآلهة) الملك "زيو - سدرا"

الذي حافظ على ذرية البشر من الفناء

في بلد على البحر حيث تشرق الشمس ، في دلمون

(النهاية مكسورة)

وقد سبق وذكرنا بالحاشية أن موقع «دلمون» تحدد في البحرين، ودلمون ، جنة السومريين، ليست مكانًا لأرواح الصالحين، لأن الحياة الأخرى لم تكن معروفة لدى السومريين، فحالة الموت - في اعتقادهم- هي حالة أبدية يدخلها كل البشر بصرف النظر عما قدمت أيديهم في الحياة الدنيا، حيث يدلفون إلى العالم الأسفل، عالم الظلمة الأبدية ، في استمرارية ليست بالحياة وليست بفقدان الحواس والشعور والإدراك، أما الجنة -في اعتقادهم- فهي مرتع

http://kotob.has.it

الآلهة، وقلة قليلة من البشر الذين أنعم عليهم بالخلود ، ومنهم بطل الطوفان، وهي مكان طاهر نظيف ومضيء، حيث لا تنعق الغربان، ولا يفترس الأسد ولا الذئب، وحيث لا تلتهم الحيوانات الزرع، ولا يعرف أحد الآلام والمرض والعجز والشيخوخة، حيث لا مكان للحزن والبكاء[أ] .

(أ) فراس السواح - مغامرة العقل الأولى - ص 160 .

http://kotob.has.it

أسطورة «أوتو - نبشتم»

ذكرنا في بداية الفصل أن أول نص أسطوري اكتشف عن أحداث الطوفان كان هو اللوح الحادي عشر من ملحمة «جلجامش»، تلك الملحمة التي تعد - بجانب أسطورة الخلق البابلية- من أعظم النصوص الأدبية التي جاءت إلينا من بلاد وادي الرافدين.

- مضمون الأسطورة:

لا شك في أن أصول كل من ملحمة جلجامش وأسطورة الطوفان السومريتين كانتا مصدر الإلهام للبابليين، وهم في سبيلهم إلى إعادة كتابة ملحمة جلجامش البابلية، وتبدو قصة الطوفان لأول وهلة، وكأنها أقحمت على أحداث ملحمة جلجامش، لكن، وبنظرة متعمقة، نجد أن أحداث الطوفان جاءت لتؤكد نفس الفكرة الفلسفية التي دارت حولها ملحمة جلجامش.

كان جلجامش هو بطل مدينة أوروك، وكان شديد الولع بتحصين مدينته، وإعادة تخطيطها حتى تظهر في أحسن صورة، وكانت وسيلته في هذا تسخير أهل أوروك، فاستنجدوا بالآلهة، فخلقوا له «إنكيدو» ليكون له خلاً وصديقًا يشغله عن أهل أوروك، فيقوم جلجامش مع «إنكيدو» بمغامرات شتى، ولكن فجأة يموت «إنكيدو»، فيحزن عليه جلجامش حزنًا لا يضاهيه حزن، يخشى جلجامش الموت ويسير في البراري ليبحث عن الخلود الدائم الذي لا يدنو منه

http://kotob.has.it

الموت.

وبعد رحلة طويلة يقطعها «جلجامش» في الصحاري والبراري وهو يرتدي جلود الحيوانات، يصل إلى جده «أوتو - نبشتم» بطل الطوفان البابلي، حيث أسكنته الآلهة في أرض دلمون.

كان هدف جلجامش من مقابلة «أوتو - نبشتم» هو معرفة سر الخلود الذي حصل عليه، لعله يستطيع هو الآخر أن يحصل عليه، فينأى عن الموت وأهواله، ولا يتجرعها مثلما تجرعها صديقه «إنكيدو».

بعد ذلك يبدأ «أوتو نبشتم» في اطلاع «جلجامش» على أحداث الطوفان، فالطوفان هو نقطة البداية لـ «أوتو - نبشتم» على طريق الخلود الدائم.

اتخذ الآلهة قرارًا بحدوث الطوفان؛ وذلك انتقامًا من الجنس البشري الذي عاث في الأرض فسادًا، إلا أن أحد الآلهة، وهو «إيا» (إنكي) يشفق على الجنس البشري من هذا الدمار، فيخاطب «أوتو - نبشتم» كما خاطب «زيو - سدرا» - من خلف الجدار، ويخبره بما سيحدث، ويأمره ببناء سفينة، ويعرفه مقاساتها، وطريقة بنائها، ومن سيركب معه فيها، كما حدد له الوقت الذي سيدخل فيه السفينة.

بعد ذلك يأتي الطوفان، والذي تصفه نصوص الأسطورة بصورة تدخل الهلع في القلب، ومن شدة أهواله تتحطم الأرض الفسيحة كالجرة، وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان، وبعد أن يهدأ الطوفان يأخذ «أوتو - نبشتم» في إرسال الطائر تلو الآخر كي يتأكد من انحسار المياه، وعندما تأكد من هذا خرج هو ومن معه من السفينة.

http://kotob.has.it

بعد ذلك نرى الآلهة وهم يوجهون اللوم إلى «إنليل»، لأنه هو صاحب هذا القرار، وأنه كان عليه عقاب المسئ من البشر بدلاً من وضع الجميع في سلة واحدة، وفي نهاية القصيدة ينعم الآلهة على «أوتو - نبشتم» وزوجته بالخلود، ذلك الخلود الذي يبحث عنه جلجامش ولن يستطيع أن يحصل عليه؛ لأن ما حدث لن يتكرر، فالآلهة لن تجتمع إلا لحدث جلل شبيه بهذا الطوفان، وهذا يقع في طور المستحيل.

نص الأسطورة:

قال جلجامش لـــــ "أوتو - نبشتم" القاصي:

كلما نظرت إليك يا "أوتو نبشتم"

وجدت هيئتك غير مختلفة، فأنت مثلي لا تختلف عني

أجل، أنت لم تتبدل بل تشبهني

وكان يتصورك قلبي كاملاً كالبطل على أهبة القتال

فإذا بي أجدك ضعيفًا مضطجعًا على ظهرك

فقل لي إذن: كيف دخلت في زمرة الآلهة ونلت الحياة (الخالدة)

فقال له "أوتو - نبشتم"، قال لجلجامش:

"يا جلجامش سأكشف لك عن سر خفي

سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة

http://kotob.has.it

"شروباك"[أ] المدينة التي تعرفها
التي تقع على شاطئ نهر الفرات
لقد شاخت المدينة والآلهة في وسطها
فعزم الآلهة العظام وقتئذ على إحداث الطوفان
تشاوروا فيما بينهم وكان معهم أبوهم "آنو"
و"إنليل". البطل مستشارهم
و"ننورتا" مساعدهم، ووزيرهم
و "انوكي" حاجبهم ورسولهم
وكان حاضرًا معهم "نن - ايكي - كو" أي "ايا"[2]
فنقل هذا (يعني ايا) كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه:
"يا كوخ! يا كوخ القصب! يا جدار، يا جدار،
اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط[3]

(أ) شروباك: تعرف أطلالها الآن باسم «تل فاره» بالقرب من مدينة الوركاء، وكانت من المدن السومرية الشهيرة، وهي موطن بطل الطوفان «أوتو - نبشتم» ، وكانت الآلهة طبقًا لهذا المعتقد- يحكمون في شروباك في أزمان ما قبل الطوفان حيث كانت الملوكية بين الآلهة، وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية إلى السماء ثم عادت إلى الأرض من بعد الطوفان، وكانت أول سلالة حكمت بعد الطوفان سلالة «كيش» الأولى.

(2) ايا الاسم الأكدي للإله «انكي» إله الماء السومري، والإله «ايا» هو دائمًا إله صديق للبشر، ولا يرغب أبدًا في إلحاق الأذى بهم.

(3) الخطاب به تورية، فهو موجه إلى صاحب الكوخ أي «اوتو - نبشتم».

http://kotob.has.it

أيها الرجل "الشروباكي" يا ابن "أوبار - توتو"[1]

قوض البيت وابن لك فلكا[2]

تخل عن مالك وانشد النجاة

انبذ الملك وخلص حياتك

واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة[3]

والسفينة التي ستبنى

عليك أن تضبط مقاسها

ليكن عرضها مساويًا لطولها

وغطها بسقف مثل سقف "أبسو"[4]

ولما وعيت[5] ذلك قلت لربي "ايا"

"سمعًا يا سيدي ، سأنفذ ما أمرتني به

ولكن ما عساني أن أقول للمدينة؟

وبم سأجيب الناس والشيوخ"

---

(1) «اوبار - توتو» هو والد «اوتو - نبشتم».

(2 ، 3) قارن نصوص التوراة - سفر التكوين إصحاح 6 ، عدد 14 ، 6 : 19 - 20 .

(4) مياه العمق الـ «بسو» كانت في اعتقاد العراقيين القدماء المياه الجوفية السفلى، حيث موطن الإله «ايا»، وقد يعنون بالأبسو، مياه المحيط الأسفل، حيث اعتدوا أن الأنهار تخرج من تلك المياه، وانظر مقاسات السفينة في سفر التكوين 6 : 15 .

(5) الكلام لـ «اوتو -نبشتم».

http://kotob.has.it

ففتح "ايا" فاه، وقال لي: أنا عبده:

"قل لهم هكذا: إني علمت أن إنليل يبغضني

فلا أستطيع العيش في مدينتكم بعد الآن

ولن أوجه وجهي إلى أرض إنليل واسكن فيها

بل سأنزل إلى الـــ "أبسو"

وأعيش مع "ايا"

وأنتم سيمطركم (ايا) بالوفرة والفيض

ومن مجاميع الطير، وعجائب الأسماك

وفي المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح"[أ]

ولما نورت أولى بشائر الصباح تجمع البلد حولي

حملوا إلى أضاحي الأغنام الغالية

واحضروا إليّ أضاحي من ماشية مراعي البراري

. . . (تشوه في سطرين)

جلب لي الصغار منهم القار

(أ) هناك تورية ، يقصد منها أن يفهم الناس أن هناك خير لهم، وأما «اوتو - نبشتم» فكان يعلم بحدوث الطوفان، ويبدو أن «ايا» قد خاف على البشر من الجزء الذي سيصيبهم إذا ما علموا أن هناك طوفان قاضي عليهم لا محالة.

http://kotob.has.it

وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى

وفي اليوم الخامس أكملت هيكل السفينة

وكان سطح أرضها "ايكو" واحدًا وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعًا[1]

وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرون ذراعًا.

حددت شكلها الخارجي هكذا:

جعلت فيها ستة طوابق (سفلية)

وبهذا قسمتها إلى سبعة طوابق

وقسمت أرضها إلى تسعة أقسام[2]

وحشوتها وغرزت فيها أوتاد الماء

ووضعت فيها المرادي[3] وجهزتها بالمؤن

سكبت ستة "شارات"[4] في الكورة

---

(1) الـ «ايكو» البابلي مساحة سطحية تعادل نحو 3600 مترًا مربعًا أي نحو «ايكر» واحد (ويساوي الايكر البابلي نحو 4000 متر مربع) أما الذراع البابلية فتساوي نصف متر (أي بقدر الذراع العربية تقريبًا)، وبما أن ارتفاعها 60 متر (120 ذراعًا) فيكون شكل سفينة «اوتو - نبشتم» مكعبًا منتظمًا وسعتها نحو 216000 متر مكعب. انظر - طه باقر - ملحمة كلكامش - ص 78 - هامش 2 . وقارن بهذا الصدد أبعاد سفينة نوح كما وردت في سفر التكوين 6 : 15 .

(2) أي أن كل طابق من الطوابق قسمه «اوتو - نبشتم» إلى تسعة أقسام أو مقاصير.

(3) مرادي - جمع مردي ، وهي الخشبة التي يدفع بها السفينة.

(4) الـ «شار» البابلي كيل قياس حجم بالإضافة إلى إنه مساحة سطحية.

http://kotob.has.it

سكبت أيضًا ثلاثة شارات من القطران

وجلب حاملوا السلال ثلاثة "شارات" من السمن

بالإضافة إلى شار واحد من السمن لحشو أوتاد الماء

و"شارين" من السمن اختزنهما الملاح

ونحرت البقر وطبختها للناس[أ]

ونحرت الأغنام كل يوم

وقدمت عصير الكرم والخمر الأحمر والأبيض والسمن

إلى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر

ليقيموا الأعياد كما في أيام رأس السنة

ومسحت يدي بسمن الزيت

وتم بناء السفينة في اليوم السابع

وكان إنزالها (إلى الماء) أمرًا صعبًا

فكان عليهم أن يبدلوا ألواح القاع في الأعلى وفي الأسفل

إلى أن غطس في الماء ثلثاها

وحملت فيها كل ما أملك

(أ) قارن سفر التكوين 6 : 21 .

http://kotob.has.it

وكل ما عندي من فضة حملته فيها

وحملت فيها كل ما عندي من ذهب

وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية[1]

أركبت فيها جميع أهلي وذوي قرباي

أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر

وجميع الصناع أركبتهم فيها[2]

وضرب لي الإله "شمش"[3] موعدًا معينًا حيث قال:

"حينما ينزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك

فادخل في السفينة واغلق بابك"

وحل أجل الموعد المعين

وفي الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطرًا مهلكًا

وتطلعت حالة الجو فكان مكفهرًا مخيفًا للنظر

فولجت في السفينة وأغلقت بابي

---

(1) قارن سفر التكوين 6 : 21 .

(2) سفر التكوين 7 : 7 - 8 .

(3) من المفترض - طبقًا للسياق - أن يكون مُصدر الأمر والمتحدث هو الإله «ايا» لأنه هو الذي أنذر «اوتو -نبشتم» بحدوث الطوفان، وأعلمه كيفية صنع السفينة، ويبدو أن هناك تصحيفًا من كاتب النص الأصلي.

http://kotob.has.it

وأسلمت قياد السفينة إلى الملاح "بوزُر - آموري"

أسلمته الهيكل العظيم بكل ما فيه من ثروات

ولما ظهرت أنوار السحر

علت من الأفق البعيد غمامة سوداء(1)

وفي داخلها أرعد الإله "أدد"(2)

وكان يسير أمامه "شلاّت" و"خانيش"(3)

وهما ينذران أمامه في الجبال وفي السهول

ونزع الإله "إيرا كال" الأعمدة(4)

ثم أعقبه الإله "ننورتا" الذي فتق السدود(5)

ورفع الـ "أنوناكي" المشاعل(6)

وجعلوا الأرض تلتهب بوهج أنوارها

وبلغت رعود الإله "أدد" عنان السماء

---

(1) قارن - سفر التكوين 7 : 11 .

(2) «أدد» أو «حدد» إله الزوابع والرعود.

(3) «شُلاّت» و«خانيش» أو «هافيش» رسل الإله «أدد» أو هما أقنوما «شمش» وأدد.

(4) «إيرا كال» من آلهة العالم الأسفل، وأحد أسماء الإله «نرجال» (نرجول في التوراة) إله العالم الأسفل.

(5) «ننورتا» إله العنف والحرب.

(6) «الأنوناكي» مصطلح سومري يشير إلى جموع الآلهة في السماء والأرض.

http://kotob.has.it

فأحالت كل نور ظلمة

وتحطمت الأرض الفسيحة كما تتحطم الجرة

وظلت زوابع الريح الجنوبية[1] تهب يومًا كاملاً

وازدادت شدتها حتى غطت الجبال[2]

وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان

وصار الأخ لا يبصر أخاه

ولا الناس يميزون في السماء

وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان

فابتعدوا وصعدوا إلى سماء "آنو"[3]

وانكمشوا كالكلاب الخائفة وربضوا في أسى

فصرخت "عشتار" كالمرأة في مخاضها

انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي نادبة:

"واحسرتاه ! لقد عادت إلى طين تلك الأيام القديمة[4]

(1) «الريح الجنوبية في العراق - وإن شئت الدقة- الجنوبية الشرقية - التي تسمى «شرجي» (شرقي) هي الرياح الممطرة عادة، وهي الرياح التي تهب من جهة الخليج ومنطقة الأهواز

(2) قارن سفر التكوين 7 : 20 - 23 .

(3) «آنو» إله السماء أو الإله السماء، وكانت سماء «آنو» بحسب تصور العراقيين القدماء أعلى سماء من السماوات السبع.

(4) قارن سفر التكوين 7 : 23 .

http://kotob.has.it

لأنني نطقت بالشر في مجمع الآلهة

فماذا دهاني إذ نطقت بالشر

لقد سلطت الدمار على الخلق[1]

دمار من أعطيتهم أنا الميلاد

لقد ملأوا اليم كبيض السمك»

وبكى معها آلهة الـ «أنوناكي»

جلسوا يندبون وينوحون

وقد يبست شفاههم

ستة أيام وسبع أمسيات

وزوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد

ولما حل اليوم السابع خفت وطأة الزوابع

وكانت قبلها كالجيوش المحاربة

ثم هدأ البحر وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان[2]

وتطلعت إلى الجو، فوجدت السكون عامًا

ورأيت البشر وقد عادوا جميعًا إلى طين

---

(1) سفر التكوين 8 : 21 .

(2) سفر التكوين 8 : 1 - 2 .

http://kotob.has.it

وكالسقف كانت مياه الغدران مستوية

فتحت كوة طاقتي فسقط النور على وجهي[1]

سجدت وجلست أبكي

فانهمرت الدموع على وجهي

وتطلعت إلى حدود سواحل البحر

فرأيت جزيرة وهي تعلو مائة وأربعًا وأربعين ذراعًا

واستقر الفلك على جبل "نصير"[2]

أمسك جبل "نصير" بالسفينة ومنعها من الحركة

ومضى يوم ويوم ثان والجبل ممسك بالسفينة فلم تجر

ومضى اليوم الثالث والرابع والجبل ممسك بالسفينة

ومضى اليوم الخامس والسادس والجبل ممسك بالسفينة

ولما حل اليوم السابع

أخرجت حمامة وأطلقتها في السماء

طارت الحمامة ولكنها عادت[3]

---

(1) سفر التكوين 8 : 6 .

(2) قارن رواية سفر التكوين إصحاح 8 عدد 4 حيث الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبال «أراراط»، وأراراط اسم أرمينية القديمة «أورارطو».

(3) قارن سفر التكوين 8 : 8 - 12 حيث عرض النص وصف إطلاق «نوح» الطيور بإسهاب،=

http://kotob.has.it

رجعت لأنها لم تجد موضعًا تحط فيه

وأخرجت السنونو وأطلقته

ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعًا يحط فيه

ثم أخرجت غرابًا وأطلقته

فذهب الغراب، ولما رأى المياه قد قرت وانحسرت

أكل وحام وحط ولم يعد

عند ذلك أخرجت كل ما في السفينة إلى الجهات الأربع(١)

وقربت قربانًا(2)

وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل

ونصبت سبعة وسبعة قدور للقرابين

وكدست أسفلها القصب وخشب الأرز والآس

فتنسم الآلهة شذاها(3)

أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب

=وذلك حتى يتأكد نوح من انحسار الماء.

(١) سفر التكوين 8 : 18 - 19 .

(2) قارن سفر التكوين 8 : 20 .

(3) قارن سفر التكوين 8 : 21 .

http://kotob.has.it

فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب

ولما حضرت الآلهة العظيمة "عشتار"

رفعت عقدها الذي صنعه "آنو" وفق رغباتها وقالت:

"أيها الآلهة الحاضرون، كما لا أنسى هذا العقد اللازوردي

الذي يزين عنقي

فإنني لن أنسى هذه الأيام قط وسأذكرها دومًا

تقدموا جميعًا وقربوا من هذه الذبيحة

إلا "إنليل" وحده لن يقترب

لأنه سبب الطوفان دونما ترو

وأسلم شعبي للدمار

ولما أن جاء "إنليل" وأبصر الفلك غضب

وامتلأ حنقًا على آلهة الـــ "ايكيكي"[1]، وقال:

"عجبًا، كيف نجت نفس واحدة،

وكان المقدر ألا ينجو بشر من الهلاك؟

ففتح الإله "ننورتا"[2] فاه وقال مخاطبًا البطل "إنليل"،

---

(1) «ايكيكي» اسم جنس عام يطلق على جميع آلهة السماء.

(2) «ننورتا» : ابن الإله «إنليل»، ورسول الآلهة وإله الحرب.

http://kotob.has.it

”من ذا الذي يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير ”ايا“؟

أجل، إن ”ايا“ هو الذي يعرف خفايا الأمور“

وعندئذ فتح ”ايا “ فاه وقال مخاطبًا ”إنليل“ البطل:

”أيها البطل، أنت أحكم الآلهة

فكيف لم تترو فأحدثت عباب الطوفان؟

حمل المخطئ وزر خطيئته

وحمل المعتدي إثم اعتدائه

ولكن ارحم (المخطئ والمعتدي) لئلا يهلك

وتشدد (في عقابه) لئلا يمعن في الشر

ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان

سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم

ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان

سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس

وبدلاً من الطوفان لو أنك أحللت القحط في البلاد

وبدلاً من الطوفان لو أن ”ايرا“[1] فتك بالناس

---

(1) ايرا : إله الطاعون.

http://kotob.has.it

أما أنا فلم أفش سر الآلهة العظام
ولكنني جعلت "أترا حاسس"[1] يرى رؤيا
فأدرك سر الآلهة
والآن تدبر أمره وقرر مصيره"
ثم صعد "إنليل" فوق ظهر السفينة[2]
وأمسك بيدي وأركبني معه في السفينة
وأركب معي أيضًا زوجي وجعلها تسجد بجانبي
ووقف بيننا ولمس ناصيتنا وباركنا قائلاً
"لم يكن "أوتو - نبشتم" قبل الآن سوى بشر
ولكن منذ الآن سيكون هو وزوجه مثلنا نحن الآن الآلهة
وسيعيش "أوتو - نبشتم" بعيدًا عند "فم الأنهار"
ثم أخذوني بعيدًا وأسكنوني عند "فم الأنهار"
والآن من سيجمع الآلهة من أجلك (يا جلجامش)

---

(1) أترا - حاسس: صفة أو اسم آخر لبطل الطوفان «أوتو نبشتم»، وتوجد قصة بابلية أخرى عن الطوفان تدور على «أترا حاسس» كما سنرى لاحقًا.
(2) الكلام هنا على لسان «أوتو - نبشتم».

http://kotob.has.it

أسطورة «أترا حاسس»

هذه الأسطورة عبارة عن قصيدة بابلية طويلة، إذ يبلغ عدد أبياتها نحو 1300 بيت موزعة على ثلاثة ألواح، وقد عرفت بين الباحثين باسم بطل الطوفان «أترا - حاسس» (Atra - Hasis) وجاء الاسم نفسه في إحدى نسخ الملحمة من العصر البابلي القديم باسم «أترام - حاسس» (Arram - Hasis). أما الكتبة البابليون فقد عنونوها بعنوان «حينما كان الإله مثل الإنسان»، وهو أول بيت من أبيات القصيدة، ذلك أن السومريين والبابليين كان من عادتهم أن يجعلوا من أول بيت في القصيدة عنوانًا لها. وذكرنا أن اسم «أترا - حاسس» صفة مركبة تعني «المتناهي في الحكمة»، وأنها صفة لبطل الطوفان «أوتو - نبشتم» أو «أوتا - نبشتم» كما في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش[أ].

مجمل الأسطورة:

تبدأ الأسطورة بمقدمة تصف حياة الآلهة قبل خلق الإنسان بأن اتخذوا قرارًا بتقسيم العمل فيما بينهم، فألقي الآلهة الكبار على صغار الآلهة المهام الشاقة، فقاسى هؤلاء عناء العمل في الأرض، وعندما فاض بهم الكيل، ثاروا ثورة عارمة، وحاصروا بيت إنليل، وأعلنوا أن عبء العمل الشاق قد قتلهم، فرق

(أ) انظر طه باقر - مصدر سابق، ص v24 .

http://kotob.has.it

لهم قلب «إنليل»، وفي نهاية الأمر يتخذ الآلهة قرارًا بخلق مخلوق جديد، هو الإنسان ليتحمل هو هذه المشقة، وليستريح هؤلاء الآلهة، فتقوم الإلهة «ننتو» أو «مامي» بخلق الإنسان، وذلك بمساعدة الإله «إنكي» (إيا)، فيتم ذبح أحد الآلهة واسمه «وي - إيلا»، ومزجوا الطين بلحمه، وخُلِقَ الإنسان.

بعد ذلك يتكاثر الناس، فيزعج ضجيجهم الإله إنليل، فيسلط عليهم الوباء والأمراض، وهنا يظهر «أترا - حاسس»، وهو يخاطب الإله «إنكي»، الذي ينصحه بتقديم القرابين إلى الإله «نمتار» حتى يخلصهم مما هم فيه.

بعد ذلك يتكاثر الناس مرة أخرى، ويزعجون «إنليل»، فيستمر الأخير في تسليط الكوارث على البشر، وفي كل مرة يقدم لهم «إنكي» يد العون، فهو الإله الشفوق على البشر، وكيف لا، وقد كان له الدور الأكبر في خلقهم.

وفي نهاية الأمر يضطر «إنليل» إلى تسليط الطوفان على البشر، لتسير أحداث الأسطورة بطريقة تكاد تطابق أحداث أسطورة «أوتو -نبشتم» السالف عرضها.

نص الأسطورة(أ):

- العمود الأول:

حينما كان الآلهة مثل البشر

يضطلعون بالعمل ويعانون من التعب

(أ) طه باقر - ملحمة كلكامش - مصدر سابق - ص 253 وما بعدها، د. فاضل عبد الواحد علي - الطوفان في المراجع المسمارية - مصدر سابق - ص 123 وما بعدها.

http://kotob.has.it

(أجل) كان عبء الآلهة ثقيلاً جسيمًا

كان العمل شاقًا والعناء كبيرًا

وكان الآلهة "الأنواناكي"[أ] السبعة العظام

جعلوا آلهة الـ "أيكيكي" يقاسون مشقة العمل

كان أبوهم "آنو" هو الملك

وكان مشيرهم المحارب "إنليل"

وكان حاجبهم "ننورتا"

ومنفذ أوامرهم "إنوكي" (إيا)

لقد تعاهد الآلهة وأمسك أحدهم بيد الآخر

وألقوا القرعة وتقاسموا فيما بينهم المناصب

(فكانت النتيجة) أن أخذ "آنو" السماء وارتقى إليها

و . . . الأرض إلى أتباعه

وأعطى مقاليد البحر وسدوده

إلى الأمير ""إنكي"

(أ) ذكرنا في موضع سابق - راجع آلهة أساطير الطوفان - أنه يغلب إطلاق مصطلح الأنوناكي على آلهة السماء، والـ «أيكيكي» على آلهة الأرض، وهم الآلهة الصغرى الذين كانوا يخدمون الآلهة الكبار ويعملون لهم.

http://kotob.has.it

ونزل "إنكي" إلى الـ "أبسو"[أ]

(يوجد في حدود خمسة عشر سطرًا - سنعرضهم حالاً - مخرومة، ولكن يتضح لنا من الكلمات القليلة الباقية منها أنها تدور على وصف الأعمال الشاقة التي فرضها الآلهة الكبار «الأنوناكي» على الآلهة الصغار «الأيكيكي»، مثل حفر الأنهار، وري الجداول).

.... السماوات

.... على "إيكيكي"

.... كانوا يحفرون

.... حياة البلاد

.... كانوا يحفرون

.... حياة البلاد

.... نهر دجلة

.... من العمق

.... أقاموا

(أ) الـ «ابسو» Apsu، المياه السفلى التي يحكم فيها «إنكي» ولذلك دعي معبده في «أريدو» باسم «أي - أبسو» أي بيت العمق، واشتقت من هذه الكلمة الكلمة الإغريقية والإنجليزية (Abyss) التي تعني المياه الأولى، والعماء الذي خلقت منه الأشياء. طه باقر - مصدر سابق - ص 254 بالهامش.

http://kotob.has.it

.... أبسوا

.... البلاد

.... وسطها

.... رفعوا رأسها

.... كل الجبال

فأحصوا سنين التعب

.... الهور العظيم

فأحصوا سنين العناء

فكانت مفرطة شاقة .. طوال أربعين عامًا

.... قاسوا من العمل ليل نهار

فكانوا يتذمرون ويشكون

يتذمرون من الحفر ويقولون:

لنواجه الحاجب

عساه أن يخلصنا من عملنا الشاق

لنقابل البطل مستشار الآلهة

ولنغلبه ونوهنه وهو في مسكنه

http://kotob.has.it

"إنليل"، مستشار الآلهة، البطل

لنوهن عزمته وهو في مسكنه

ففتح فاه . .

وخاطب إخوته الآلهة (قائلاً):

. . . . الحاجب القديم

(عدة أسطر مخرومة)

- العمود الثاني:

والآن دعونا نعلن الحرب

دعونا نعلنها حربًا شعواء

فاستمع الآلهة إلى كلماته

وأشعلوا النار في أدواتهم

وأضرموا النار في "مساحيهم"

وأحرقوا أدواتهم وسلالهم

ورفعوها كالمشاعل وهم يسيرون

واتجهوا إلى باب معبد الإله البطل "إنليل"

وعندما حان منتصف الليل

http://kotob.has.it

أحاطوا بالمعبد دون علم الإله "إنليل"

عندما حان منتصف الليل

وأحاطوا بـــ "أيكور"(1) ولم يعلم "إنليل".

ولما أبصر بهم "كلكل"(2) أصابه الذعر

فوضع المزلاج وأخذ يراقب

وأيقظ "كلكل" "نسكو"(3)

وأخذا يصغيان إلى الجلبة والضوضاء . . .

ثم أيقظ "نسكو" سيده

وجعله يخرج من فراشه (وقال له):

"يا سيدي إن معبدك محاصر

وبلغ القتال بوابتك

. . . . إنليل إلى مكانه

وفتح "إنليل" فاه

وقال مخاطبًا الوزير "نسكو":

(1) إيكور : معبد الإله «إنليل» في نفر.
(2) كلكل «Kalkal» حارس المعبد.
(3) نسكو «Nusku» وزير الإله «إنليل».

http://kotob.has.it

"يا نسكو، أغلق بابك بالمزلاج

وخذ سلاحك وقف أمامي"

فأحكم "نسكو" غلق بوابته

وأخذ سلاحه ووقف أمام "إنليل"

ثم فتح "نسكو" فاه

وقال مخاطبًا البطل "إنليل":

"يا سيدي إنهم أبناؤك

فلم أنت خائف من أبنائك؟

يا إنليل ! إنهم أبناؤك

فلم أنت خائف من أبنائك؟

أرسل في طلب "آنوا" إلى هنا

وليحضر "إنكي" أمامك

ففعل ذلك، وجاء "آنو"

وحضر "إنكي" أمامه

كان "آنو" ملك السماء حاضرًا

وكان "إنكي" ملك الـــ "أبسو" موجودًا

http://kotob.has.it

وحضر آلهة الـــ "أنوناكي" العظام

نهض "إنليل" . .

وفتح فاه

وقال مخاطبًا الآلهة العظام

هل ما يجري الآن موجه ضدي؟

وهل عليَّ أن أخوض حربًا . . . ؟

فماذا ترى عيناي ؟!

لقد وصلت المعركة إلى بابي

ففتح "آنو" فاه

وقال مخاطبًا البطل "إنليل"

(لكي تعرف) أسباب محاصرة آلهة الـــ "إيكيكي" بابك

. . . .

العمود الثالث:

دع "نسكو" يخرج ليستطلع الأمر

. . . . الأمر

إلى أبنائك . . . .

ففتح "إنليل" فاه

http://kotob.has.it

وقال مخاطبًا وزيره "نسكو"

يا "نسكو" افتح (بوابتك)

خذ سلاحك و . . . .

وفي مجمع كل الآلهة

قف وانحن وانقل لهم كلامنا. وقل لهم:

"لقد أرسلني "آنو" أبوكم

ومستشاركم البطل "إنليل"

ووزيركم "ننورتا"

و"أنونكي" عميدكم (لأسألكم):

من هو المحرض على القتال؟

ومن كان المحفز على العداء؟

من الذي أعلن الحرب . . . .

(ثلاثة أسطر مخرومة)

(فذهب نسكو إلى مجمع) كل الآلهة:

. . . . ثم أوضح (قائلاً):

(لقد أرسلني) أبوكم "آنو"

http://kotob.has.it

(ومشيركم) البطل "إنليل"

(ووزيركم) "ننورتا"

(وعميدكم) "أنونكي" (لأسألكم)

من كان المحرض على القتال

ومن كان المحفز على العداء

من الذي أعلن الحرب . . . .؟

و . . . . الحرب

في . . . .

جاء . . . . إنليل (فأجابه الآلهة قائلين)

إن كل واحد منا نحن الآلهة، قد أعلن الحرب

لقد . . . . في (الحفر)

ولقد (قتلنا) العمل (الشاق)

. . . .

إن علمنا صعب وعناءنا كبير

والآن وقد تكلم كل واحد من الآلهة

مؤيدًا . . . . ضد "إنليل"

http://kotob.has.it

فأخذ "نسكو" سلاحه . . . .

وذهب . . . .

يا سيدي لقد أرسلتني إلى . . . .

وذهبت . . . .

. . . . العظيمة

. . . .

نحن . . . . في الحفر

لقد قتلنا (العمل) الشاق

إن عملنا (صعب) وعناءنا كبير

والآن وقد تكلم كل واحد من الآلهة

مؤيدًا . . . مع "إنليل"

وعندما سمع "إنليل" ذلك القول

سالت دموعه

ثم . . . . "إنليل" كلماته

وقال مخاطبًا المحارب "آنو"

أيها النبيل ! احمل معك إلى السماء

http://kotob.has.it

العمود الرابع:

سلطتك وخذ معك قوتك

وطالما أن الـــــ "أنوناكي" في حضرتك

ابعث في طلب (أحد) الآلهة وامر بقتله

ففتح "آنو" فاه

وقال مخاطبًا إخوته من الآلهة:

بماذا نحن نتهمهم؟

إن عملهم شاق وعناءهم كبير

إن عملهم (شاق) كل يوم

وتعالت شكواهم حتى سمعناها

أن يعمل . . . .

. . . . الأعمال

(سبعة أسطر مهشمة في النص الأصلي، والأسطر الستة التي سنعرضها الآن من أحد النصوص المهشمة الأخرى، وفيها نجد الإله «إيا» يكرر ما قاله «آنو» ثم يقترح بعد ذلك خلق الإنسان).

http://kotob.has.it

وفتح "إيا" فاه

وقال مخاطبًا (إخوته) من الآلهة:

بماذا نحن نتهمهم

إن عملهم شاق وعناءهم كبير

فكل يوم . . . .

وتعالت شكواهم حتى سمعناها

وطالما (أن "بيليت - إيلي" إلهة النسل) حاضرة[أ]

فلتخلق إلهة النسل ذرية

وليحمل الإنسان عناء الآلهة:

فاستدعوا الإلهة

مولدة الآلهة، "مامي" Mami الحكيمة، وسألوها:

"أنت إلهة النسل القادرة على خلق البشر

فاخلقي الـــ "لوللو"[2] من أجل أن يحمل العبء

(أ) بداية من هذا السطر نعود للنص الأصلي مرة أخرى.

و «بيليت - إيلي» هي إلهة النسل، وقد ترجمها طه باقر «بعلة الآلهة»، ومن أسمائها «ماما» أو «مامي» و«ننتو».

(2) لوللو: Lullu اسم سومري مركب من مقطعين: «لو» ويعني الرجل، و«الا» ويعني الأول، ويكون المعنى الإنسان الأول.

http://kotob.has.it

ليحمل العبء الذي فرضه "إنليل"

ليحمل الإنسان عناء الآلهة

ففتحت "ننتو" فاها

وقالت مخاطبة الآلهة العظيمة:

"ليس بمقدوري أن أخلق الأشياء

إن القدرة والمهارة بيد "إنكي"

ولأنه يستطيع أن يطهر كل شيء

فليعطني الطين لأخلقه

ففتح "إنكي" فاه

وقال مخاطبًا الآلهة العظام

في اليوم الأول والسابع[أ] والخامس عشر من الشهر

سأقيم حوضًا للتطهير

ثم ليذبح أحد الآلهة

. . . .

(أ) ترجمة د. فاضل عبد الواحد علي كالتالي:

في اليوم الأول والحادي عشر والخامس عشر من الشهر.

وترجمة طه باقر - والتي ذكرناها بالمتن - هي الأصوب، لأن د. فاضل عبد الواحد عاد بعد عدة أسطر وترجم نفس السطر كما ترجمه طه الباقر.

http://kotob.has.it

ومع لحمه ودمه

فلتمزج "ننتو" طينًا

وليكن امتزاج الإله مع الإنسان كليًا في الطين

. . . .

حتى نستطيع أن نسمع صوت الطبل في كل الأوقات

ولتكن روح من مادة الإله

وليكن الإنسان الحي علامتها ومظهرها

ومن أجل ألا ننسى هذا فلتكن هناك روح

وفي المجلس، أجاب الآلهة العظام: نعم

الـــ "أنوناكي" الذين يقررون المصائر

وفي اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر

. . . .

أقام "إنكي" حوض التطهير

وذبح (الآلهة) في مجلسهم "وي - إيلا" We - ila

الذي كان جسمًا مسخطًا

ومع لحمه ودمه

http://kotob.has.it

مزجت "ننتو" الطين

وصاروا يستمعون صوت الطبل على الدوام

- العمود الخامس:

ومن لحم الآلهة ظهرت الروح

وانبثق منها الإنسان الحي، علامة على وجودها

ومن أجل ألا ينسى هذا فقد كانت هناك روح(أ)

وبعد أن خلقت الطين

استدعت (ننتو) الـ "أنوناكي"، الآلهة العظام

وآلهة الـ "ايكَيكَي" العظام

(وفي حضورهم) بصقت على الطين

وفتحت "مامي" فاها

وخاطبت الآلهة العظام:

لقد عهدتم إلي بعمل وقد أكملته

(لقد) ذبحتم إلهًا بكامل شخصيته

وأنا رفعت عنكم العمل الشاق

(أ) هذا السطر غير موجود بترجمة طه باقر، وأورده د. فاضل عبد الواحد كما هو بالمتن.

http://kotob.has.it

وفرضت عناء العمل على الإنسان ليحمله

وكنتم قد رفعتم أصواتكم من أجل خلق الإنسان

لقد أرخيت النير وحققت الحرية

ولما سمعوا كلامها

هرعوا إليها وقبّلوا قدميها (قائلين):

كنا ندعوك فيما مضى "مامي"

وأما الآن لنسميك "سيدة كل الآلهة"[1]

لقد دخلا بيت المصائر

أجل دخل "إيا" و"مامي" الحكيمة

ومع إلهات الولادة المجتمعات

أخذ "إيا" يدوس على الطين بحضورها[2]

وأخذت "ننتو" تتلو التعويذة

وجلس "إيا" إلى جوارها يلقنها

وبعد أن أتمت تلاوة التعويذة

اقتطعت أربع عشرة قطعة من الطين

(1) في اللغة البابلية «بعلة - كل - ايلي».

(2) أي بحضور «مامي».

http://kotob.has.it

وضعت سبعًا إلى اليمين

وسبعًا أخرى إلى اليسار

ثم ألقت باللبنة بينها

(يوجد خروم في اللوح بمقدار أحد عشر سطرًا، ويمكن إكمال هذا النقص من نص آخر):

. . . قاطع الحبل السري

كانت الحكيمة المتمرسة

قد جمعت سبع وسبع إلهات للنسل

سبع منهن خلقن ذكورًا

وسبع خلقن إناثًا

إن إلهات النسل، خالقات القدر

قد أكملن خلقهم زوجًا زوجًا

أجل لقد أكملن خلقهم زوجًا زوجًا

وكانت "مامي" تصور أشكال البشر

فعسى أن تبقي اللبنة موضوعة لسبعة أيام

في بيت المرأة في المخاض والمرأة التي في النفاس

من أجل أن تكرم "بيلت - ايلي" ، مامي الحكيمة

http://kotob.has.it

وعسى أن تفرح القابلة في بيت المرأة التي في النفاس

وعندما تضع المرأة التي في المخاض

عسى أن . . . . أم الطفل بنفسها

الرجل إلى الفتاة

(عودة للنص الأصلي مرة أخرى)

. . . . يديها

. . . . الحبة

. . . . خد الشاب

. . . . المصلي المكشوف والشارع

. . . . رجل وامرأة

واستدعت إلهات النسل

ثم جلست "ننتو" تحسب الشهور

. . . .

في اللحظة الموقوتة نودي على الشهر العاشر

http://kotob.has.it

العمود السادس:

فجاء الشهر العاشر

وبانقضاء فترة (الحمل)

وبوجه مشرق وفرح

ورأس معصوب، أتمت عملية التوليد

. . . .

وخطت صورة (للمولود) بالطحين ووضعت (عندها) اللبنة

(ثم قالت بلهفة) لقد خلقته، لقد صنعته يداي

فعسى أن تفرح القابلة في بيت المومس

وحينما تضع المرأة التي في المخاض

وحينما . . . . الأم الطفل بنفسها

. . . .

فعسى أن تبقى اللبنة موضوعة لسبعة أيام

من أجل أن تكرم "ننتو"، إلهة النسل

وبدون انقطاع هتفوا بـــ "مامي"

وبدون انقطاع امتدحوا إلهة النسل ، امتدحوا "كيش"

. . . .

وعندما يوضع الفراش

عسى أن تضطجع المرأة وزوجها سويًا

وحينما يقام الزواج

ويمتدحوا "عشتار" في بيت الحمى

عسى أن تقام الأفراح تسعة أيام

وأن يسموا "عشتار" عشخارا" (Ishhara)

. . . . في اللحظة المقررة

(يوجد خروم في اللوح في حدود عشرين سطرًا)

رجل . . . .

تطهير المكان . . . .

الابن لأبيه

. . . .

جلسوا و . . . .

وكان يحمل

فرأى و . . . .

http://kotob.has.it

الإله "إنليل"

فرأى و . . . .

الإله "إنليل"

قد أصبح صعبًا . . . .

فبنوا المعابد بالمعاول والمساحي

وبنوا ضفاف القناة الكبيرة

ومن أجل (إيجاد) طعام للناس ومن أجل (إيجاد) قوت للآلهة

فقد . . . .

ولم تكد تمضي ستمائة وستمائة عام

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس

وأصبحت البلاد تخور كالثور

فانزعج الإله "إنليل" من ضجيجهم

أجل، لقد سمع "إنليل" ضجيجهم

(فقال مخاطبًا) الآلهة العظام:

لقد أصبح صخب البشر شديدًا عليَّ

وقد حرمني ضجيجهم من النوم

http://kotob.has.it

فلنأمر الوباء (يفتك بالناس)

(ثلاثة أسطر مخرومة)

وآنذاك كان "أترا حاسس"

يتحدث إلى الإله "إنكي"

(وبعد أن) تكلم (مع إلهه)

وتكلم إلهه معه

فتح "أترا حاسس" فاه

وقال مخاطبًا سيده

طالما أن . . . .

هل سيواصلون تسليط الأمراض علينا إلى الأبد

ففتح "إنكي" فاه

وقال مخاطبًا عبده (أترا حاسس)

الشيوخ . . . .

فلتتشاوروا في البيت

وأمروا المنادين لينادوا

ويصيحوا عاليًا في البلاد:

http://kotob.has.it

لا تعبدوا آلهتكم

ولا تصلوا لآلهتكم

ولكن اقصدوا باب "نمتار"[أ]

وقربوا له أرغفة محمصة

ولعله سيسر بقرابين السمسم

فتخجله هداياكم ويرفع يده عنكم

. . . .

تلقى "أترا حاسس" الأمر

فجمع الشيوخ عند بوابته

ثم فتح "أترا حاسس" فاه

وقال مخاطبًا الشيوخ:

أيها الشيوخ . . . .

يتشاورون في البيت

وأمروا المنادين لينادوا

ويصيحوا عاليًا في البلاد:

(أ) إله القدر، ويظهر هنا كإله للوباء والطاعون.

http://kotob.has.it

لا تعبدوا آلهتكم

ولا تصلوا لآلهتكم

ولكن اقصدوا باب "نمتار"

واجلبوا إليه أرغفة محمصة

وعسى أن يسر بقرابين السمسم

وعندئذ تخجله هداياكم فيرفع يده عنكم

فاستمع الشيوخ إلى كلماته

فبنوا معبدًا للإله "نمتار" في المدينة

وأمروا المنادين فنادوا

وصاحوا عاليًا في البلاد

فلم يعبدوا آلهتهم

ولم يصلوا لآلهتهم

بل قصدوا باب "نمتار"

(وجلبوا) أمامه الأرغفة المحمصة

وقربانًا من طعام السمسم

فأخجلته الهدايا فرفع يده عنهم

. . . .

http://kotob.has.it

(وهكذا تركهم (الوباء)

.... رجعوا

اللـــوح الثـــاني

- العمود الأول

لم تكد تمضي ستمائة وستمائة عام

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس

وأصبحت البلاد تخور مثل الثور

فانزعج الإله بضوضائهم وصخبهم

لقد سمع "إنليل" صخبهم وضجيجهم

فخاطب الآلهة العظام وكلمهم قائلاً:

"إن ضوضاء البشر قد ثقلت عليَّ فلا أحتملها

لقد حرمني ضجيجهم النوم

فلتنقطع المؤن عن الناس

ولتحل الندرة في النباتات

حتى لا تكفيهم سد جوعهم

وليحبس الإله "أدد"[1] أمطاره

(1) سبق وذكرنا أن «أدد» أو «حدد» هو إله الزوابع والرعود.

http://kotob.has.it

وليـنـقـطـع ارتـفـاع مـيـاه الـعـمـق مـن الأسـفـل

ولـتـهـب الـريـاح الـلافـحـة فـتـحـرق الحـقـول

ولـلـتـكـاثـف الـسـحـب ولـكـن لـيـمـتـنـع هـطـول الأمـطـار

ولـتـنـقـص الحـقـول مـن غـلالـهـا

ولـتـوقـف الإلـهـة "نـصـابـا"[أ] نـتـاج ثـديـيـهـا

ولـتـزل الأفـراح مـن بـيـنـهـم"

(باقي الأسطر مخرومة، وحينما يصبح النص واضحًا، تبدأ أوامر الإله «إيا» (إنكي) على الوجه التالي:

"لـيـعـلـن المـنـادون بـأصـوات عـالـيـة فـي الـبـلاد:

لا تـبـجـلـوا آلـهـتـكـم

ولا تـصـلـوا لآلـهـتـكـم

بـل اقـصـدوا بـاب الإلـه "أدد"

وخـذوا مـعـكـم رغـيـف خـبـز إلـيـه

ولـعـل قـرابـين الـسـمـسـم سـتـسـره

فـيـخـجـل مـن قـرابـيـنـكـم ويـرفـع يـده عـنـكـم

ولـعـلـه سـيـنـزل طـلاً وضـبـابًا فـي الـصـبـاح

(أ) نصابا» إلهة الغلال.

http://kotob.has.it

وينزل الطل خلسة في المساء

فتنتج الحقول الغلال خلسة

لقد أقاموا في المدينة معبدًا للإله "أدد"

ولم يبجلوا آلهتهم

ولم يصلوا لآلهتهم

بل قصدوا باب "أدد"

وقدموا إليه رغيفًا من الخبز

وسر بقربان طعام السمسم

واستحى مما قدم له وكف عن الأذى

وفي الصباح حل الضباب

وأمطر طلاً في المساء خلسة

ونتجت الحقول الغلال خلسة

ونعرض الآن للوح الثالث الذي يتضمن رواية الطوفان، وتبدأ بسؤال «أترا - حاسس» لإنكي عن تفسير الرؤيا التي رآها في منامه، فيقوم «إنكي» بتفسيرها ويخبره بما عليه أن يفعل حتى ينجو بحياته:

فتح "أترا - حاسس" فاه

وخاطب سيده قائلاً

http://kotob.has.it

"عبر لي عن معنى الرؤيا

حتى أعرف مغزاها ونتيجتها"

ففتح إنكي فاه، وقال مخاطبًا عبده:

"أنت تريد أن تعرف مغزى الرؤيا

فانتبه إلى المعنى الذي سأبلغك به:

يا حائط ! اسمعني يا حائط

يا كوخ القصب، تفهم كلماتي

انقض بيتك وابن لك فلكًا

انبذ المال واخ بحياتك

والسفينة التي ستبنى

(الأسطر 26 إلى 28 مخرومة)

سقفها واحكم بناءها كمياه الأبسو

بحيث لا ترى الشمس داخلها

واحكم سقفها من الأعلى والأسفل

ولتكن حبالها متينة قوية

وليكن القير ثخينًا لتكون السفينة قوية

أنا سأمطركم بوافر من الطيور والأسماك»

لقد فتح (أترا - حاسس) الساعة ا لمائية وملأها

لقد بلّغه بوقوع الطوفان لليلة السابعة

انصاع «أترا - حاسس» للأمر

وجميع الشيوخ عند بابه

وفتح «أترا - حاسس» فاه وخاطب الشيوخ قائلاً:

«إن إلهي على خلاف مع إلهكم

إن «إنكي» و«إنليل» غاضب أحدهما على الآخر

لقد أخرجاني وطرداني من بيتي

ولأنني أخص إنكي بالتبجيل

فإنه أخبرني بالأم

ولذلك فلن أستطيع العيش في مدينتكم

ولا أستطيع أن أضع قدمي على أرض «إنليل»

(عدة أسطر مخرومة تتضمن جمع العمال والنجارين وتهيئة المواد لصنع السفينة):

.... كل ما عليك ..

ومن الحيوانات الطاهرة

http://kotob.has.it

. . . . والحيوانات السمينة . . . .

وأطيار السماء . . . . والماشية وحيوان البر . . . . اجمعها في السفينة

دعا الناس . . . . إلى وليمة

وأركب عائلته في السفينة

أكلوا وشربوا

وكان يدخل ويخرج على الدوام

ولا يستطيع الجلوس ولا النوم

لأن قلبه قد تحطم، وصار يتقيأ المرارة

وتبدلت هيئة الجو

وأرعد الإله "أدد" في السحاب

وحالما سمع (أترا - حاسس) صوت "أدد"

أحضر القير ليسد بابه

وبعد أن أغلق بابه

كان "أدد" لا يزال في السحاب

وازدادت الرياح في شدة هبوبها حينما استيقظ

فقطع المرساة وأطلق السفينة

http://kotob.has.it

. . . .

(عدة أسطر مخرومة)

وصار الطائر "انزو" يمزق السماء بمخلبه

لقد حطم صوته . . . . كما تحطم الجرة

. . . . وجاء الطوفان

وفتك في شدته بالناس كالحرب العوان

وصار الأخ لا يرى أخاه

ولم يكن الناس ليميزوا من هول الهلاك

وخار عباب الطوفان كالثور الوحشي

وكان صوت الطوفان كنهيق الحمار

وغطى الناس الظلام الدامس، ولم تظهر الشمس

. . . .

(عدة أسطر مخرومة)

استشاط "إنكي" غضبًا

وهو يرى أبناءه يسحقون ويهلكون

و"ننتو" السيدة العظيمة[أ]

(أ) «ننتو» أو «امي» إلهة خالقة وإلهة الولادة، وقد سبق ورأينا أن الإلهة التي ناحت على هلاك =

http://kotob.has.it

يبست شفتاها من الحرارة والـ "أنوناكي". الآلهة العظام
جلسوا وهم عطشى وجياع
وبكت الآلهة وهي تشاهد الكارثة
وقالت الحكيمة "مامي". قابلة الآلهة:
"ليعم الظلام النهار، وليعم البؤس والشقاء
وأنا في مجلس الآلهة
ماذا دهاني أني قررت معهم الهلاك والدمار
لقد تجاوز "إنليل المدى في الشر والهلاك
ومثل شيطان "تريرو" ، أمر بالشر والدمار
وأوقعت الأذى بنفسي عندما أصغيت إلى ضوضائهم
وإن ذريتي - وقد قطعت عني - غدت كالذباب
وأنا أصبحت كالساكنة في بيت الندب والبكاء
فلا يسمع نحيبي وعويلي
فهل سأرقى إلى السماء
وكأني سأعيش في بيت الكنز؟

=البشر في أسطورة «اوتو - نبشتم» هي عشتار التي يمكن اعتبار «ننتو» و«مامي» من أسمائها.

http://kotob.has.it

إلـى أين ذهب كبيرهم "آنو"؟

"آنو" الذي يطيع أمره أبناؤه الأقداس

إنه الذي لم يترو فأحدث الطوفان

وأسلم الناس إلى الهلاك والفناء

(عدة أسطر مخرومة)

لقد ملأوا النهر كأنهم اليعاسيب

صاروا كالأرمات الطائفة في النهر

لقد شاهدتهم وبكيت من أجلهم

أجل، انتحبت من أجلهم

حتى استنفدت رثائي وندبي من أجلهم"

لقد ناحت "ننتو" بكل حرارة عاطفتها

وبكى الآلهة معها من أجل البلاد

لقد ملكها الحزن وأصابها الظمأ إلى الجعة[أ]

وحينما جلست جلسوا معها يبكون

وملأوا الحوض كأنهم الغنم

(أ) فلا أحد من البشر يقرب إليهم القرابين، لذا سيحل الجوع والعطش على جميع الآلهة، لأنهم - طبقًا لهذا المعتقد- قد خلقوا الإنسان حتى يخدمهم ويقوم على حاجاتهم.

http://kotob.has.it

ويبست شفاههم من شدة الظمأ

وحل بهم الضعف والشلل من شدة الجوع

وطول سبعة أيام وسبع ليال

عم الطوفان والزوابع

(نحو 27 سطرًا مخرومة، ونحو 29 سطرًا من الحقل التالي)

.... إلى الرياح الأربع

وجهز الطعام ....

وشم الآلهة طعام الوليمة[أ]

فتجمعوا كالذباب على القرابين

نهضت "ننتو"، وهي غاضبة على الجميع فقالت:

"إلى أين ذهب "آنو" كبير الآلهة؟

هل حضر "إنليل" إلى البخور والقرابين؟

إنهما اللذان لم يترويا فأحدثا الطوفان

وسلطا الدمار على الناس

لقد أرادوا الهلاك الشامل.

(أ) دليل على انتهاء الطوفان ونجاة السفينة ومن فيها، ومن ثم تقريب القرابين إلى الآلهة من قبل «اترا -حاسس» ومن معه.

http://kotob.has.it

والآن غدت وجوههم النظيفة كدرة مغبرة"

ثم أمسكت بالذباب الكبير(أ)

وهي التي صنعها لها "آنو" وكانت تحملها

وقالت: "إن حزنه حزني، والآن قرر مصيري

ليخلصني من هذا الحزن والغم

وليكن هذا الذباب أحجار اللازورد التي في عنقي

لأتذكر بها كل يوم وإلى الأبد

شاهد البطل "إنليل" السفينة

واستشاط غضبًا على آلهة الـ "ايكيكي" وقال:

"نحن آلهة الــــ "أنوناكي" العظام

لقد قررنا وأقسمنا بذلك

فكيف نجا بعض الأحياء؟!

وكيف سلم الإنسان من الهلاك؟

ثم فتح "آنو" فاه

وقال مخاطبًا الإله "إنليل":

(أ) الذباب الكبير: كناية عن عقد اللازورد الذي صنعه لها «آنو» كما رأينا في أسطورة «اوتو - نبشتم».

http://kotob.has.it

من يستطيع ذلك غير الإله "إنكي"؟

. . . .

أنا لم أفش السر

ثم فتح "إنكي" فاه

وقال مخاطبًا الآلهة العظيمة:

لقد فعلت ذلك في حضوركم

أنا المسؤول عن نجاة الحياة

(يوجد عدة أسطر مخرومة - سنعرضها - ويفهم من الأجزاء الظاهرة منها أن «إنكي» يعاتب الإله «إنليل» لأنه أراد إهلاك البشر، وأنه كان عليه أن يعاقب المذنب، وألا يأخذ الصالح مع الطالح)

. . . . الآلهة . . . .

. . . . الطوفان

. . . .

. . . . قلبك

. . . .

. . . . وافرض عقوبتك على المجرم

ومن يخالف أمرك

http://kotob.has.it

.... المجلس ....

(حوالي عشرة أسطرة مفقودة)

.... لها

وضعوا

ونفست الحزن عن قلبها

ثم فتح "إنليل" فاه

وقال مخاطبًا الأمير "إنكي"

هيا ابعث في طلب الإلهة "ننتو"، إلهة النسل

وتشاور معها في المجلس

ففتح "إنكي" فاه

وقال (مخاطبًا) "ننتو" إلهة النسل:

أنت يا إلهة النسل، يا خالقة المصائر

.... للناس

....

.... عسى أن يكون ....

http://kotob.has.it

العمود السابع:

وبالإضافة إلى ذلك عسى أن يكون صنف ثالث بين الناس

عسى أن يكون بين الناس نسوة تلد ونسوة لا تلد

عسى أن يكون بين الناس شيطانة - باشيشتو (Pashishtu)

لتخطف الطفل من حضن أمه التي ولدته

....

ثم نصب نسوة - اوكبابتو (ugbabtu) وانتوا (Entu).

واكيصيتو (Igisit)

....

وعسى أن يكن محرمات وبهذا تتوقف الولادات

....

.... الحياة

(بقية العمود مفقودة)

http://kotob.has.it

العمود الثامن:

(ثمانية أسطر مفقودة)

وهكذا جئنا بالطوفان

غير أن الإنسان استطاع البقاء رغم الدمار

أنت يا مشير الآلهة العظام

بأمرك أقود أنا المعركة

....

وفي مديحك فليستمع آلهة الـ "أيكيكي"

إلى هذه الأنشودة وليمجدوا عظمتك

لقد أنشدت الطوفان إلى الناس كلهم

فاستمع إليه

http://kotob.has.it

الفصل الثالث

قصة الطوفان في نصوص التوراة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

لافصل الثالث

قصة الطوفان
في نصوص التوراة

إن الباحث في نصوص العهد القديم (التوراة) ليصادفه عدة إشكالات عند التعرض لها لبحث مسألة من المسائل؛ فهل هذه النصوص هي فعلاً التي أوحى بها الله لأنبيائه - وخاصة موسى عليه السلام أم أنها قد طالتها أيدي المحرفين؟ وإذا كانت أقلام التحريف قد لطخت بمدادها تلك النصوص، فهل هذا يصدق بالنسبة لجميع النصوص أم بعضها فقط؟ وأخيرًا هل تناقل اليهود هذه النصوص جيلاً بعد جيل حتى نستطيع أن نقول إنها قد نقلت إليهم بطريق التواتر، أم أنها كانت غير ذلك؟ ولإلقاء الضوء على هذه التساؤلات يكون حري بنا أن نعرض لنبذة عن العهد القديم.

العهد القديم:

وهو كتاب مقدس لدى اليهود والنصارى، وسجل فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء. . . وينقسم إلى:

http://kotob.has.it

أ - **التوراة :** ويطلق عليها اسم أسفار موسى، وفيها خمسة أسفار:

١ - سفر التكوين أو الخلق:

وفيه إشارة إلى قصة خلق العالم وقصة الطوفان، وعن حياة بني إسرائيل، وما يتعلق بالأنبياء، ويتكون هذا السفر من خمسين إصحاحًا.

2 - سفر الخروج:

ويتعرض لإقامة بني إسرائيل في مصر وخروجهم منها، ويتضمن هذا السفر الوصايا العشرة التي نزلت على موسى عليه السلام، بالإضافة إلى الكثير من الأحكام القانونية التي تنظم أمور المجتمع اليهودي. ويتكون من أربعين إصحاحًا.

3 - سفر اللاويين:

وفيه بيان عن أحكام العبادات والأضاحي، والذبائح والطهارة والنجاسة، وينسب هذا السفر إلى «لاوي» أحد أبناء يعقوب، ويتألف هذا السفر من سبع وعشرين إصحاحًا.

4 - سفر العدد:

وسمي كذلك لأنه يعطي إحصاءات عن القبائل التي تدخل في بني إسرائيل، وأعداد جيوشهم وأموالهم وما يتعلق بها. ويتحدث عن أخبار بني إسرائيل وهم في شبه جزيرة سيناء، وفيه أيضًا التنظيمات الكهنوتية والاجتماعية. ويتكون من ست وثلاثين إصحاحًا.

http://kotob.has.it

5 سفر التثنية:

ويتحدث عن أحكام العقيدة الموسوية الدينية والتنظيم السياسي والنظم القانونية في العصور التالية لموسى عليه السلام، ويشمل هذا السفر مجموعة من الاصطلاحات الحديثة نسبيًا والتي ترجع إلى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد. وعدد إصحاحاته أربع وعشرين إصحاحًا.

ب- أسفار الأنبياء: هي نوعان:

1 - **أسفار الأنبياء المتقدمين:** يشوع (يوشع بن نون) - القضاة - صموئيل الأول - صموئيل الثاني- الملوك الأول - الملوك الثاني.

2 - **أسفار الأنبياء المتأخرين:** أشعياء - أرمياء - حزقيال - هوشع - يوئيل - عاموس - عوبديا - يونان (يونس) - ميخا - ناحوم - حَبَقّوق - صَفَنْيا - َحجّى - زكريا - ملاخي.

جـ - الكتابات: وتنقسم إلى:

1 - **الكتابات العظيمة:** المزامير (الزبور) - الأمثال (أمثال سليمان) - أيوب.

2 - **المجلات الخمس:** نشيد الإنشاد - راعوث - مراثي ارمياء - الجامعة - استير.

3 - **الكتب:** دانيال - عزرا - نحميا - أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثاني.

http://kotob.has.it

هذه الأسفار السابقة الذكر معترف بها لدى اليهود، وكذلك لدى البروتسانت، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أخرى هي :

(طوبيا - يهوديت - الحكمة - يسوع بن سيراخ - باروخ - المكابين الأول - المكابين الثاني) كما تجعل أسفار الملوك أربعة، وأولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني.

- كتابة نصوص التوراة :

بداية نجد أن موسى عليه السلام والذي أوحى الله إليه بالتوراة قد عاش حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد، بينما نجد أن بعض نصوص العهد القديم الموجودة بين أيدينا ترجع إلى ما بعد هذه الفترة بزمن طويل.

وقد كان السبب الأساسي لكتابة التوراة يتمثل في أن اليهود قد شرعوا يرتدون عن عبادة «يهوه» - إله اليهود- إلى عبادة الآلهة الأجنبية، فأخذ الكهنة يتساءلون ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية، ورأوا الأنبياء يعزون إلى «يهوه» ما يجيش في صدورهم من عواطف يؤمنون بها ويعتقدونها، فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن إلهية تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية، ويضمنون بها معونة الأنبياء، وذلك بما تتمضنه من آرائهم القليلة التطرف. وسرعان ما ضموا إلى جانبهم الملك «يوشيا» ملك يهوذا حوالي القرن السابع ق. م، فلما كانت السنة الثامنة عشرة أو نحوها من حكمه أبلغ الكاهن «حلقيا» الملك أنه «وجد» في سجلات الهيكل ملفًا عجيبًا قضى فيه موسى نفسه في جميع المشكلات

http://kotob.has.it

التاريخية والخلقية التي كانت مثار الجدل العنيف بين الأنبياء والكهنة[1]

وفي ذلك تقول نصوص العهد القديم:

"فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه. وجاء شافان الكاتب إلى الملك ورد على الملك جوابًا وقال قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة في البيت ودفعوها إلى يد عامل الشغل وكلاء بيت الرب. وأخبر شافان الكاتب الملك قائلاً قد أعطاني حلقيا الكاهن سفرًا. وقرأه شافان أمام الملك. فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه. وأمر الملك حلقيا الكاهن وأخيقام بن شافان وعكبور بن ميخا وشافان الكاتب وعسايا عبد الملك قائلا: اذهبو اسألوا الرب لأجلي ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وُجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا كلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا".[2]

ويدل هذا النص العبراني على أن التوراة ظلت منسية لفترة طويلة حتى عثر عليها - أو على جزء منها- على يد «حلقيا» الكاهن.

وعن كتابة التوراة يقول «شموئيل بن يهوذا بن أيوب» اليهودي العبراني، والذي أنعم الله عليه بنعمة الإسلام في كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود)[3]:

(1) ول ديورانت - قصة الحضارة - مصدر سابق - (2 / 356).

(2) سفر الملوك الثاني - إصحاح 22 : 8 - 13 .

(3) قرص إليكتروني - رؤية للبرمجيات - مكتبة العلم والمتعلم- الإصدار الدولي - القاهرة - =

http://kotob.has.it

«إن علماءهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم ليست هي المنزلة على موسى ﷺ البتة؛ لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي، ولم يبذل موسى ﷺ من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم.

وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم «بخت نصر» على دم واحد يوم فتح بيت لامقدس، ولم يكن حفظ التوراة فرضًا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة.

ويضيف:

«فلما رأى «عزرا» -وبينه وبين موسى فترة تصل إلى الألف سنة - أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن.

ولذلك بالغوا في تعظيم «عزرا» هذا غاية المبالغة وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتابًا يحفظ دينهم، وعلى ذلك، فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب «عزرا» وليس كتاب الله. وهذا يدل على أن الذي جمع لهم هذه الفصول التي بأيديهم رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية، فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندامة على ماضي أفعاله والإقلاع عن مثلها وغير ذلك».

=جمهورية مصر العربية CD1.

http://kotob.has.it

ويضيف:

«إن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذها بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها واندرس قديم آثارها، وتعذر الوقوف عليها؛ لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات والمصادمات وإخراب البلاد وإحراق بعضها فلا تزال هذه الفنون متتابعة عليها إلى أن تستحيل علومها جهلاً وكلما كانت الأمة أقدم، واختلفت عليها الدول المناوئة لها بالإذلال والإيذاء كان حظها من اندراس الآثار أكثر، وهذه الطائفة بلا شك أعظم الطوائف حظًا مما ذكرناه؛ لأنها من أقدم الأمم عهدًا، ولكثرة الأمم التي استولت عليها من الكنعانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والإسلام..

والأشد على اليهود من جميع الممالك ما نالهم من ملوكهم أنفسهم مثل «أحاب» و«أمصيا» و«يهورام» وغيرهم من الملوك الإسرائيليين الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم وعبدوا الأصنام لتعظيمها، وتعليم مراسم عبادتها، وابتنوا بها البيع العظيمة والهياكل وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بني إسرائيل وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وعصورًا متصلة.

فإذا كان هذا تواتر الآفات على شرعهم من قِبَل ملوكهم ومنهم على أنفسهم فما ظنك بالآفات المتفتتة التي تواترت عليهم من استيلاء الأمم فيما بعد عليهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم ومنعهم إياهم من القيام بشرائعهم» أ.هـ

http://kotob.has.it

ويزيد المرحوم الدكتور أحمد حجازي السقا الأمر إيضاحًا فيقول[أ]:

«الأمر الصحيح أن توراة موسى الأصلية كانت صغيرة جدًا بحيث تكتب على اثني عشر حجرًا بخط واضح، وظلت هذه التوراة في أيدي علماء بني إسرائيل إلى زمن السبي البابلي. وفي مدينة بابل بالعراق اتفق علماء بني إسرائيل على جمع مأثورات التاريخ القديم، خاصة ما يتعلق بنسب إسحق عليه السلام، ووضع توراة موسى بين المأثورات. وقد تم ذلك على يد عزرا في بابل، ثم إن عزرا بعدما فرغ من المأثورات وفيها أحكام موسى وضع مختصرًا لأحكام موسى وأظهر فيه الأمور الجديدة التي اتفق العلماء على إضافتها إلى توراة موسى وهذا المختصر اسمه (سفر التثنية) خامس الأسفار الخمسة. ثم بعد ذلك كتب أسفار الأنبياء من يشوع إلى أخبار الأيام الثاني.

وعزرا هذا والذي جاء ذكره في القرآن باسم «عزير» لم يكن نبيًا، بل كان من العلماء الهارونيين الذين حرفوا التوراة عمدًا، فقال اليهود: إنه ابن الله لأنه كتب التوراة على وفق أهوائهم.» أ . هـ.

من العرض السابق يتضح لنا أنه يجب على الباحث أن يأخذ النصوص التوراتية بحذر شديد، ذلك أن هذه النصوص ليست كلها محرفة، ولا كلها موحى بها من الله -عز وجل- فكما سبق وذكرنا أن توراة موسى إنما كتبت على اثني عشر لوحًا حجريًا، أما ما هو مدون الآن، فلا يكفيه جبل بأكمله حتى يكتب عليه، لذا العدل أن يقال عن التوراة الموجودة الآن أن بها بعض

(أ) انظر تعليقه على كتاب «إظهار الحق» لرحمت الله الهندي - مكتبة النافذة - القاهرة - 2005 - ص 273 - هامش رقم (أ).

http://kotob.has.it

النصوص الموحى بها من الله والتي لم تصل إليها «يد التحريف، وأكثرها تم تحريفه، والله تعالى أعلى وأعلم.

مضمون قصة الطوفان في التوراة:

جاءت قصة الطوفان في التوراة في الإصحاحات من السادس إلى الثامن من سفر التكوين، وتبدأ القصة بزيادة الناس وكثرتهم على الأرض، ثم كثرة شر الإنسان في الأرض، فأراد الله أن يمحو الإنسان وذلك باستثناء نوح الرجل البار، فيخبره الله بخبر الطوفان، ويعلمه كيفية بناء السفينة وأبعادها الهندسية، ويأمره أن يدخل فيها هو وبنوه وامرأته ونساء بنيه ومعه بعض الكائنات، ففعل نوح ما أمره الله، ثم جاء الطوفان والذي أسهبت التوراة في وصفه. وبعد ذلك ينتهي الطوفان وتستقر السفينة على جبل «أراراط»، فيأخذ نوح في إرسال الطير (الحمامة) ليتأكد من انحسار الطوفان تمامًا، وبعد ذلك يخرج نوح وبنوه: حام، ويافث، وسام، ثم تخبرنا النصوص كيف أن الله قد بارك سام دون باقي أولاد نوح. والطوفان بهذه الصورة - وطبقًا للنصوص- هو طوفان عالمي، أي محا الإنسان عن كل وجه الأرض ، ومسألة عالمية الطوفان سنناقشها في الفصل الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

http://kotob.has.it

نص قصة الطوفان

في التوراة (سفر التكوين)

- الإصحاح السادس:

1 وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات 2 - أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. 3 - فقال الرب لا يدين لروحي الإنسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة. 4 - كان في الأرض طغاة في تلك الأيام. وبعد ذلك أيضًا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا. هؤلاء هم الجبابرة منذ الدهر ذووا الاسم.

5 - ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. 6 - فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه 7 - فقال الرب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع البهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنت أني عملتهم. 8 - وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب.

9 - هذه مواليد نوح. كان نوح رجلاً بارًا كاملاً في أجياله. وسار نوح مع الله. 10 - وَوَلَدَ نوح ثلاثة بنين سامًا وحامًا ويافث..

11 - وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلمًا. 12 - ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض.

http://kotob.has.it

13 - فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلأت ظلمًا منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض. 14 - اصنع لنفسك فُلْكًا من خشب جُفْر. تجعل الفلك مساكن. وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. 15 - وهكذا تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعًا عرضه وثلاثين ذراعًا ارتفاعه. 16 - وتصنع كوًى للفلك وتُكمله إلى حد ذراع من فوق. وتضع باب الفلك في جانبه . مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله . 17 - فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت. 18 - ولكن أقيم عهدي معك. فتَدْخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك . 19 - ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تُدْخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرًا وأنثى. 20 - من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها. 21 - وأنت فخُذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك. فيكون لك ولها طعامًا. 22 - ففعل نوح حَسَب كل ما أمره به الله. هكذا فعل.

- الإصحاح السابع:

1 - وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك. لأني إياك رأيت بارًا لديَّ في هذا الجيل. 2 - من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرًا وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرًا وأنثى. 3 - ومن طيور السماء أيضًا سبعة سبعة ذكرًا وأنثى

http://kotob.has.it

لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض. 4 - لأني بعد سبعة أيام أيضًا أمطر على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة. وأمحوا عن وجه الأرض كل قائم عملته. 5 - ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب.

6 - ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض. 7 - فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان. 8 - ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض. 9 - دخل اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرًا وأنثى. كما أمر الله نوحًا.

10 - وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض. 11 - في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغَمْر العظيم وانفتحت طاقات السماء. 12 - وكان المطر على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة. 13 - في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معه إلى الفلك. 14 - هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الأرض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها كل عصفور كل ذي جناح. 15 - ودخلت إلى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح وحياة. 16 - والداخلات دخلت ذكرًا وأنثى من كل ذي جسد كما أمره الله. وأغلق الرب عليه.

17 - وكان الطوفان أربعين يومًا على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت

http://kotob.has.it

الفلك فارتفع على الأرض. 18 - وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًا على الأرض. فكان الفلك يسير على وجه المياه. 19 - وتعاظمت المياه كثيرًا جدًا على الأرض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. 20 - خمس عشرة ذراعًا في الارتفاع تعاظمت المياه. فتغطت الجبال. 21 - فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض. من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. 22 - كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. 23 - فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض . وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط. 24 - وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يومًا.

الإصحاح الثامن:

1 - ثم ذَكَرَ الله نوحًا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك. وأجاز الله ريحًا على الأرض فهدأت المياه. 2 - وانسدت ينابيع الغَمْر وطاقات السماء. فامتنع المطر من السماء. 3 - ورجعت المياه عن الأرض رجوعًا متواليًا. وبعد مائة وخمسين يومًا نقصت المياه. 4 - واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط.. 5 - وكانت المياه تنقص نقصًا متواليًا إلى الشهر العاشر. وفي الشهر العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال.

http://kotob.has.it

6 - وحدث من بعد أربعين يومًا أن نوحًا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها. 7 - وأرسل الغراب. فخرج مترددًا حتى نشفت المياه عن الأرض. 8 - ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض. 9 - فلم تجد الحمامة مقرًا لرجلها. فرجعت إليه إلى الفلك. لأن مياهًا كانت على وجه كل الأرض. فمد يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك. 10 - فلبث أيضًا سبعة أيام أُخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك. 11 - فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض. 12 - فلبث أيضًا سبعة أيام أُخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضًا. 13 - وكان في السنة الواحدة والستمائة في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض. فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف. 14 - وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض.

15 - وكلم الله نوحًا قائلاً . 16 - اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبَنُوك ونساء بنيك معك. 17 - وكل الحيوانات التي معك من كل ذي جسد الطيور والبهائم وكل الدبابات التي تدب على الأرض اخرجها معك. ولتتوالد في الأرض وتثمر وتكثُر على الأرض 18 - فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه. 19 - وكل الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك.

20 - وبنى نوح مذبحًا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل

http://kotob.has.it

الطيور الطاهرة واصعد مُحرّقات على المذبح. 21 - فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضًا أُميت كل حي كما فعلت. 22 - مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال.

- الإصحاح التاسع:

1 - وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض. 2 - ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء. مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دُفعت إلى أيديكم. 3 - كل دابة حية تكون لكم طعامًا . كالعشب الأخضر دَفعت إليكم الجميع. 4 - غير أن لحمًا بحياته دمه لا تأكلوه. 5 - وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط. من يد كل حيوان أطلبه. ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان. من يد الإنسان أخيه. 6 - سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه. لأن الله على صورته عمل الإنسان. 7 - فأثمروا أنتم وأكثروا وتوالدوا في الأرض وتكاثروا فيها. 8 - وكلم الله نوحًا وبنيه قائلاً. 9 - وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم. 10 - ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم. الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض. 11 - أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضًا

http://kotob.has.it

بمياه الطوفان. ولا يكون أيضًا طوفان ليخرب الأرض. 12 - وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر. 13 - وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. 14 - فيكون متى أنشر سحابًا على الأرض وتظهر القوس في السحاب. 15 - أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد. فلا تكون أيضًا المياه طوفانًا لتُهلك كل ذي جسد. 16 - فمتى كانت القوس في السحاب أُبصرها لأذكر ميثاقًا أبديًا بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد الأرض. 17 - وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض.

18 - وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك سامًا وحامًا ويافث. وحام هو أبو كنعان. 19 - هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض.

20 - وابتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرمًا . 21 - وشرب من الخمر وتعرى داخل خبائه. 22 - فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا. 23 - فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. 24 - فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. 25 - فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته. 26 -

http://kotob.has.it

وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدًا لهم. 27 - ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبدًا لهم.

28 - وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة. 29 - فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الرابع

قصة الطوفان
في نصوص القرآن

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الرابع

قصة الطوفان في نصوص القرآن الكريم

اتساقًا مع منهج البحث الذي اتبعناه في هذا الكتاب سنبدأ أولاً بعرض مضمون قصة الطوفان كما جاءت في النصوص القرآنية، على أن نعقبه بعرض للنص القرآني، وبعد ذلك نقوم بإلقاء الضوء على النصوص القرآنية لتوضيح ما غمض، وذلك كله تمهيدًا للمقارنة التي سنجريها بين مختلف النصوص - الأسطورية والتوراتية والقرآنية- في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

مضمون قصة الطوفان في القرآن:

تبدأ القصة بإرسال الله سبحانه وتعالى نوحًا إلى قومه لينذرهم عذاب الله قبل حلوله، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم العذاب، فأنذرهم نوح عليه السلام أن يتركوا محارم الله ويجتنبوا آثامه، وذلك ليغفر لهم الله. وبعد ذلك يشتكي نوح إلى ربه -عز وجل- ما لقيه من قومه، حيث دعاهم في الليل والنهار، وأنه كلما

http://kotob.has.it

الإثم والشرك.

بعد ذلك يوحي الله -سبحانه وتعالى- إلى نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، ثم يأمره الله بصنع السفينة، ويعلمه كيفية صنعها، وكان قومه كلما مروا عليه يسخرون منه، ثم جاءت علامة الطوفان، فأركب نوح في السفينة من آمن من قومه، ومن الحيوانات كما أمره الله سبحانه وتعالى، ثم يأتي الطوفان الذي تصفه الآيات الكريمة بصورة توضح هول الموقف، ويدعو نوح ابنه ليركب معه، إلا أنه كان قد حق عليه القول، واعتقد أن الجبل سيحميه، ولكن هيهات، ثم ينتهي الطوفان بأمر الله، ويهبط نوح ومن معه من السفينة بسلام.

- نص قصة الطوفان في القرآن:

ذكرت قصة طوفان نوح في القرآن الكريم في حدود تسعة مواضع[1] ، إلا أن أكثر النصوص تفصيلاً لهذه القصة قد جاءت في سورة هود في الآيات من 25 – 48 . لذا سنعرض النص الكامل للقصة كما جاء في هذه السورة، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي

(1) الأعراف (59 – 64)، يونس (71 – 73)، هود: (25 – 48)، المؤمنون (23 – 29)، الشعراء : (105 – 121)، العنكبوت (14 – 15)، الصافات (75 – 76)، القمر (9 – 15)، نوح (1 – 28).

http://kotob.has.it

فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي
رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ
وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ
وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا
لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا
نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ
عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ
كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ
﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن
رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ

http://kotob.has.it

أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

تفصيل قصة الطوفان في القرآن:

وبعد أن عرضنا للنص الكامل لقصة الطوفان كما جاءت به سورة هود، يكون حري بنا أن نلقي الضوء على مختلف النصوص القرآنية حتى نجلي ما قد يغمض على القارئ، وحتى نتعرف أكثر على تفاصيل هذه القصة.

أولاً: سبب الطوفان:

سبب الطوفان كما جاءت به آيات القران الكريم يتمثل في شرك قوم نوح عليه السلام حيث جعلوا لله شركاء، كما كفروا بما أرسل به نوح عليه السلام فاستحقوا العقاب لشركهم وكفرهم.

والشرك غير الكفر، فالشرك هو عبادة الله سبحانه وتعالى ومعه آلهة آخرين، والدليل على شركهم قول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي

http://kotob.has.it

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

فقوله : ﴿ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ يدل على أنهم كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى، ويعبدون معه آلهة أخرى، لذا طلب منهم نوح أن يعبدوا الله وحده.

وكذلك يقول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2] فقوله عز وجل ﴿ما لكم من إله غيره﴾ يدل على أنهم عبدوا الله ومعه آلهة غيره.

وأكبر دليل على شرك قوم نوح نجده في قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴾[3] فقوله ﴿وشركاءكم﴾ يدل على أن الآلهة التي كانوا يعبدونها إنما جعلوها شركاء لله سبحانه وتعالى.

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأسماء الآلهة التي عبدها قوم نوح وجعلوها شركاء لله في قوله جل وعلا:

﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[4]

أما قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾[5].

---

(1) هود (25 ـ 26).
(2) الأعراف : 59 .
(3) يونس : 71
(4) نوح: 23 .
(5) من الآية 27 من سورة هود.

http://kotob.has.it

وقوله جل شأنه:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[1] فهذا لا يناقض ما ذكرنا من أن قوم نوح كانوا قوم شرك، وذلك لأن الكفر أعم من الشرك، بمعنى أن كل شرك هو كفر، وليس كل كفر شرك؛ فأنت تستطيع أن تصف المشرك الذي يعبد مع الله آلهة أخرى بأنه كافر، أما الذي يكفر بالله عز وجل سواء اتخذ أربابًا غيره أم لم يتخذ، فهو كافر وليس مشركًا.

وفي نهاية الأمر لم يؤمن برسالة نوح إلا النذر اليسير:

﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [2].

ويخبره سبحانه وتعالى أنه لم يؤمن معه إلا من قد آمن:

﴿أُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3].

ثانيًا : صنع السفينة:

لم يصنع نوح عليه السلام السفينة من تلقاء نفسه، ولكن صنعها بأمر إلهي، وكذلك لم تكن صنعًا إبداعيًا لنوح ولكن الله سبحانه وتعالى قد أخبره بالطريقة التي سيصنع بها سفينة تستطيع أن تصمد أمام الطوفان الجارف، وإخبار نوح

---

(1) نوح (25 - 26).
(2) من الآية 40 من سورة هود
(3) هود : 36 .

http://kotob.has.it

بصنع السفينة يستتبع -بالضرورة- إخباره بالطوفان الذي سيكتسح القوم. يقول سبحانه وتعالى:

﴿واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحْيِنَا ولا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(1).

ويقول جل شأنه :

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحْيِنَا ﴾(2)، ولم يذكر الله سبحانه وتعالى وصف السفينة، حيث إن ذلك من قبيل التفصيلات التي لا يهتم بها القرآن، ومعرفتها لن تغير من الأمر؛ إذ أن الهدف الأساسي هو العظة، وأكثر الأخبار -وإن شئت جميعها -والتي جاء بها المفسرون المسلمون في هذا الشأن هي من قبيل الإسرائيليات، وقد سبق وذكرنا ما جاءت به النصوص التوراتية في شأن وصف وبناء السفينة، وهي تتشابه إلى حد كبير مع الأخبار التي أوردها المفسرون والمؤرخون المسلمون.

ومن الأخبار الغريبة التي أوردها ابن جرير الطبري(3) من حديث علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب، فأخذ كفًا من ذلك التراب بكفه فقال: أتدرون

---

(1) هود : 37 .

(2) من الآية 27 من سورة المؤمنون.

(3) ابو جعفر بن جرير الطبري - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) - دار صادر - بيروت- 2003 (1 / 59)، والخبر موجود كذلك بتفسير القرآن العظيم لابن كثير - تفسير الآية 37 من سورة هود. وكذلك (الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) في تفسيره للآية 38 من نفس السورة.

http://kotob.has.it

ما هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال : هذا قبر حام بن نوح.

قال: فضرب الكثيب بعصاه وقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب.

فقال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت؟

قال: لا، ولكني مت وأنا شاب، ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت.

قال: حدثنا عن سفينة نوح.

قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بجوف السفينة يقرضها وحبالها، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر.

فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟

قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت.

قال: ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن

http://kotob.has.it

البلاد قد غرقت.

قال: فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت.

قال: فقال الحواريون: يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا؟

قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟

قال: فقال له عُد بإذن الله، فعاد ترابًا. (أ. هـ)

وأخذ نوح يصنع السفينة، وكلما رآه قومه وهو مقبل على هذا الأمر كانوا يسخرون منه:

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

وهنا نجد المفسرين والمؤرخين قد أوردوا كذلك الكثير من الروايات، فعن زيد بن أسلم قال: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها ومائة سنة يعملها[2].

وروى ابن القاسم عن ابن أشرس عن مالك قال: بلغني أن قوم نوح ملأوا الأرض حتى ملأوا السهل والجبل، فما يستطيع هؤلاء أن ينزلوا إلى هؤلاء ولا

---

(1) هود (38 - 39).

(2) تفسير الطبري للآية 38 من سورة هود.

http://kotob.has.it

هؤلاء أن يصعدوا إلى هؤلاء، فمكث نوح يغرس الشجر مائة عام لعمل السفينة ثم جمعها ييبسها مائة عام وقومه يسخرون وذلك لما رأوه يصنع من ذلك حتى كان من قضاء الله فيهم ما كان[1].

وقال القاضي أبو بكر العربي: لما استنقذ الله سبحانه وتعالى من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فاصنع الفلك.

قال : يا رب ما أنا بنجار ، قال : بلى، فإن ذلك بعيني. فأخذ القدوم جعله بيده وجعلت يده لا تخطئ فجعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارًا، فعملها في أربعين سنة[2].

ويوجد قولان في شأن سخرية قوم نوح:

أحدهما: أنهم كانوا يرونه يبني سفينته في البر فيسخرون به ويستهزئون ويقولون: يا نوح صرت بعد النبوة نجارًا.

والقول الثاني: لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا: يا نوح ما تصنع؟

قال: أبني بيتًا يمشي على الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه[3].

---

(1) السابق .
(2) السابق.
(3) السابق.

http://kotob.has.it

ثالثاً: علامة الطوفان (وفار التنور):

جعل الله سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام علامة إذا رآها يكون عليه أن يتخذ الإجراءات التي أعلمه الله إياها، وذلك لأن هذه العلامة دليل على قرب وقوع الطوفان، وهذه العلامة «فوران التنور»، ولم تأت لفظة «تنور» في القرآن إلا في موضعين أحدهما بسورة «هود» وثانيهما بسورة المؤمنون، يقول سبحانه وتعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1].

ويقول - جل شأنه:

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[2].

والتنور لغة: الذي يخبز فيه[3]، والتنور اسم أعجمي عربته العرب وهو على بناء فعل لأن أصل بنائه «تنر» وليس في كلام العرب نون قبل راء[4].

وقد اختلف في المراد بالتنور على سبعة أقوال أوردها القرطبي في تفسيره[5]:

---

(1) هود : 40 .

(2) المؤمنون : 27 .

(3) محمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح - دار الحديث - القاهرة - د. ت - ص 79 .

(4) تفسير القرطبي للآية 40 من سورة هود.

(5) السابق.

http://kotob.has.it

الأول: أنه وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تنورًا. قاله ابن عباس وعكرمة والزهري وابن عيينة، وذلك أنه قيل له إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت من معك.

الثاني: أنه تنور الخبز الذي يخبز فيه، وكان تنورًا من حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح ﷺ، فقيل له: إذا رأي الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك، وأنبع الله الماء من التنور فعلمت به امرأته فقالت: يا نوح فار الماء من التنور. فقال: جاء وعد ربي حقًا. وهذا قول الحسن وقاله مجاهد وعطية عن ابن عباس.

الثالث: أنه موضع اجتماع الماء في السفينة. عن الحسن أيضًا.

الرابع: أنه طلوع الفجر ونور الصبح من قولهم: نور الفجر تنويرًا قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخامس: أنه مسجد بالكوفة. قاله علي بن أبي طالب أيضًا وقاله مجاهد، قال مجاهد كان ناحية التنور بالكوفة. وقال : اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يمين الداخل مما يلي كندة، وكان فوران الماء علمًا لنوح ودليلاً على هلاك قومه. قال الشاعر وهو أمية :

فار تنورهم وجاش بماء   صار فوق الجبال حتى علاها

السادس: أنه أعالي الأرض والمواضع المرتفعة منها. قاله قتادة.

السابع: أنه العين التي بالجزيرة «عين الوردة» رواه عكرمة، وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم وإنما كان بالشام بموضع يقال له «عين وردة»، وقاله ابن

http://kotob.has.it

عباس أيضًا: فار تنور آدم بالهند.

قال النحاس: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأن الله -عز وجل- أخبرنا أن الماء جاء من السماء والأرض قال:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾[1] فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة، والفوران الغليان.

وقيل: معنى فار التنور: التمثيل لحضور العذاب كقولهم: حمى الوطيس إذا اشتدت الحرب، والوطيس: التنور.

ويقال: فارت قدر القوم إذا اشتد حربهم. قال شاعرهم:

تركتم قدركم لا شيء فيها ... وقدر القوم حامية تفور

ولنا تعليق على ما ذكره القرطبي في تفسيره لمعنى التنور، فالقارئ الحائر الذي يبحث عن معنى هذه الكلمة والمراد منها ستزداد حيرته بعد أن يقرأ مختلف الأقوال التي جاء بها القرطبي، خاصة وأنه لم يرجح أي منها.

والغريب في الأمر أن القرطبي نقل عن «النحاس» قوله بأن هذه الأقوال السبعة ليست بمتناقضة، وذلك على الرغم من أنها غاية في التناقض، فعلى سبيل المثال لا يمكن القول بأن وجه الأرض لا يتناقض مع تنور الخبز الذي يخبز فيه، وأن كليهما لا يتناقض مع موضع الماء في السفينة.

والغريب كذلك أنه جعل دليله على عدم التناقض قول الله سبحانه وتعالى:

---

(1) القمر (11 - 12).

http://kotob.has.it

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ، وفي حقيقة الأمر لا أعلم ما هو وجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة فيما يخص معنى التنور.

نرى كذلك أنه لا يمكن التسليم بالقول بأن معنى «فار التنور» هو التمثيل لحضور العذاب، ومعنى ذلك أن علامة الطوفان، أو ساعة الصفر التي سيبدأ نوح عليه السلام بالتحرك في حينها، ستكون مجرد أمر معنوي، وهذا لا يعقل، لأن علامة حدث جلل مثل هذا لابد وأن تكون أمرًا ماديًا ظاهرًا لا مراء فيه، حيث إن الدقة المتناهية مطلوبة، وهذا مما لا يترك فيه تقدير الأمر لنوح عليه السلام.

وعلى ذلك لا يمكن أن نترك الأمر هكذا دون أن نرجح أحد الأقوال على الآخر، وقبل أن نرجح المقصود بالتنور سأعرض أولاً لرأي الطبري في هذا الشأن ثم لرأي ابن كثير -رحمهما الله.

رأي الطبري:

قال الطبري[أ]: «وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله «التنور» من قول من قال هو التنور الذي يخبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه خلاف ذلك.

(أ) جامع البيان في تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تفسير الآية 40 من سورة هود.

http://kotob.has.it

وذلك أنه -جل ثناؤه- إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به.

رأي ابن كثير:

التنور وجه الأرض أي صارت عيونًا تفور حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار، صارت تفور ماء، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف[أ].

وقال ابن كثير أعم من قول الطبري، حيث قال: «حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار» فهذا يعني أن كل تنور من المفترض أن يخرج نارًا، أضحى يخرج ماءً مغليًا، سواء كان هذا التنور هو الذي يخبز فيه، أم كان فوهة بركان، فالخباز كان يرى تنوره يفور منه الماء بدلا من النار، وكذلك رأى الناس الجبال البركانية يخرج منها الماء بدلاً من النار، فكانت العلام١٢٨اة على درجة كبيرة من القوة والعمومية في مخالفة قوانين الطبيعة بحيث تتناسب مع عظمة الحدث والعذاب الذي سيحل بالقوم الكافرين.

والدليل على أن التنور من الممكن أن يشمل فوهات البراكين بجانب تنانير الخبازين، هو أن المفسرين اختلفوا في تحديد مكان التنور، هل هو بالكوفة، أم عين بالجزيرة؟ ولا يمكن أن يكون الخلاف هنا حول مكان تنور يخبز فيه. والله تعالى أعلى وأعلم.

(أ) تفسير ابن كثير للآية 40 من سورة هود.

http://kotob.has.it

رابعًا: ركاب السفينة:

أخبرنا الله -سبحانه وتعالى- عن ركاب سفينة نوح في قوله:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ۝٤٠ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقوله جل شأنه:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾[2].

ويفهم من الآيات الكريمات أن ركاب السفينة لم يكن جميعهم من البشر، بل كان معهم الحيوانات التي أمر الله سبحانه وتعالى نوحًا باصطحابها معه، وعلى ذلك سنعرض لركاب السفينة من الحيوانات، على أن نعرض لركاب السفينة من البشر عند الحديث عن الناجين من الطوفان، وذلك لوحدة الموضوع.

كان من المنطقي أن يذكر الله سبحانه وتعالى حمل الحيوانات قبل حمل البشر ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ ذلك لأن نوح ومن آمن معه قاموا بإدخال الحيوانات في السفينة، ثم ركبوا فيها بعد ذلك، ولا يتصور أن يدخلوا هم السفينة أولاً ثم تدخل الحيوانات بعد ذلك من تلقاء نفسها.

---

(1) هود (40 - 41).

(2) من الآية 27 من سورة المؤمنون.

http://kotob.has.it

وزوجين هنا تعني اثنين -وليس أربعـة- ذكـرًا وأنثى، ذلك لأن الزوجين في كلام العرب الاثنان، فيقال عليه زوجا نعال إذا كانت عليه نعلان، ولا يقال عليه زوج نعال وكذلك عنده زوجا حمام وعليه زوجا قيود، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾[1]، وكذلك قوله:

﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾[2] فإنما هما اثنان[3].

ومن الأخبار الغريبة التي جاء بها المفسرون في هذا الشأن:

1 - قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

"لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف تطمئن المواشي ومعها الأسد. فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفأرة فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها"[4].

2 - وروي عن ابن عباس قال[5] : لما كثرت الأرواث والأقذار أوحى الله إلى

---

(1) النجم: 45 .

(2) القيامة : 39 .

(3) تفسير الطبري للآية 40 من سورة هود، وكذلك تفسير القرطبي لنفس الآية.

(4) تفسير ابن كثير للآية 40 من سورة هود.

(5) تفسير القرطبي للآية 41 من سورد هود. وقد ذكرنا خبرًا قريبًا من هذا الخبر عند الحديث عن صنع السفينة.

http://kotob.has.it

نوح اغمز ذنب الفيل فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث.

فقال نوح: لو غمزت ذنب هذا الخنزير ففعل، فخرج منه فأر وفأرة، فلما وقعا أقبلا على السفينة وحبالها تقرضها وتقرض الأمتعة والأزواد حتى خافوا على حبال السفينة، فأوحى الله إلى نوح أن امسح جبهة الأسد فمسحها فخرج منها سنوران فأكلا الفأرة.

ولما حمل الأسد في السفينة قال: يا رب من أين أطعمه؟

قال: سوف أشغله فأخذته الحمى فهو الدهر محموم. قال ابن عباس: وأول ما حمل نوح من البهائم في الفلك حمل الإوزة وآخر ما حمل الحمار، قال: وتعلق إبليس بذنبه ويداه قد دخلتا السفينة ورجلاه خارجة بعد، فجعل الحمار يضطرب ولا يستطيع أن يدخل، فصاح به نوح: ادخل . . ويلك، فجعل يضطرب، فقال: ادخل . . ويلك وإن كان معك الشيطان. كلمة زلت على لسانه، فدخل ووثب الشيطان فدخل، ثم إن نوحًا رآه يغني في السفينة، فقال له : يا لعين ما أدخلك بيتي؟

قال: أنت أذنت لي فذكر له فقال : قم فاخرج.

قال: مالك بد في أن تحملني معك، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك.

3 - وعن ابن عباس قال: جعلها (يعني السفينة) ثلاث بطون: البطن الأسفل للوحوش والسباع والدواب، والأوسط للطعام والشراب، وركب هو (يعني نوح) في البطن الأعلى وحمل معه جسد آدم عليه السلام معترضًا بين الرجال والنساء ثم دفنه بعد ببيت المقدس، وكان إبليس معهم في الكوثل، وقيل: جاءت الحية

http://kotob.has.it

والعقرب لدخول السفينة فقال نوح: لا أحملكما لأنكما سبب الضرر والبلاء فقالت: احملنا فنحن نضمن لك الا نضر أحدًا ذكرك. فمن قرأ حين يخاف مضرتهما ﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[1] لم تضراه . ذكره القشيري وغيره[2].

ولنا بعض الملاحظات على الأخبار السابقة:

1 - اتفق المفسرون على أن حدث الطوفان حدث عالمي، بمعنى أنه شمل كل الأرض[3]، وذلك لما اعتمدوه من الأخبار العبرانية (الإسرائيليات)، ولعل معظمها رواه ابن عباس، وهذا ما دفعهم -بالنسبة للمسألة التي نعالجها - إلى القول بأن نوحًا عليه السلام قد أركب ذكرًا وأنثى من كل أجناس الحيوان الموجودة على سطح الأرض.

2 - أكبر مساحة لسفينة نوح - كما جاء بأخبار المفسرين والمؤرخين- ألف ومائتي ذراع طول وستمائة ذراع عرض، ولما كان الذراع يساوي نصف متر، فتكون المساحة الكلية في حدود 180,000م^2، وهي مساحة خيالية من الصعب تصورها، ولكن حتى لو سلمنا بها فكيف تشغل هذه المساحة آلاف الآلاف من أنواع الحيوانات الموجودة على سطح الأرض. خاصة أنها شغلت - كما جاء بالخبر- الطابق الثاني فقط من السفينة.

3 - بنصوص القرآن لم يؤمن مع نوح إلا القليل، فلماذا هذه المساحة الهائلة

---

(1) الصافات: 79 .

(2) المصدر السابق.

(3) سنناقش هذا الموضوع بتوسع في حينه إن شاء الله.

http://kotob.has.it

للسفينة، أم أن المقصود من بناء السفينة هو نجاة الحيوانات لا نجاة المؤمنين؟!

4 - ذكرت الأخبار أن المواشي لم تطمئن ومعها الأسد!! فهل اطمأنت ومعها النمر والذئب، والثعلب.... وباقي الحيوانات المفترسة؟!

5 - وذكر الخبر الثاني أن السنور (القط) قد أكل الفأرة، فما كان الداعي من حملها في أول الأمر؟ وإذا كان القط قد أكلها فكيف تناسلت مرة أخرى؟ مع العلم أن نوحًا لم يحمل إلا ذكرًا واحدًا وأنثى واحدة؟!

6 - ذكر الخبر الثاني أن نوحًا قال: «لو غمزت ذنب هذا الخنزير» ففعل فخرج منه فأر وفأرة. ياللعجب، فهل كان نوح عليه السلام يلهو في وسط هذا الحدث الجلل؟ وهل يعقل أنه كلما «غمز» ذنب حيوان يُخلق حيوان جديد؟!

7 - ومن العجيب أيضًا أن القط خُلق من «عطسة» الأسد.

8 - ولماذا أصابت الحمى الأسد فقط ولم تصب باقي الحيوانات المفترسة؟!

9 - ويفاجئنا الخبر الثالث بأن نوحًا يكلم الحيوانات، فقد كلم الحية والعقرب، وفهم لغتهما، وقال لهما: «لا أحملكما لأنكما سبب الضرر والبلاء» وهذا دليل قاطع على إسرائيلية هذه الأخبار، حيث إن الحية في النصوص التوراتية (سفر التكوين) هي التي ساعدت الشيطان على دخول الجنة، ومن ثم لعبت دورًا لا ينكر في خروج آدم وحواء من الجنة.

وبعد، علينا أن نطرح كل هذه الأخبار والتفسيرات الغريبة جانبًا ونتفكر في الأمر، ونتدبر الآيات، فالقرآن الكريم غاية في البساطة والسهولة بحيث يفهمه صاحب الفطرة السليمة، وإذا تصورنا الموقف على حقيقته كما رسمته لنا

http://kotob.has.it

الآيات الكريمات، لما احتجنا إلى كل هذه العجائب التي أوردها المفسرون في هذا الشأن. فالموقف كان كالتالي:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[أ] فتخيل أنك تقيم في منطقة قريبة من أحد البراكين النشطة، وفجأة بدأ البركان في إرسال حممه لمسافات بعيدة، فأُطلقت الإنذارات بإخلاء المنطقة لأن البركان سيدمرها بالكامل، ففي هذه الحالة سينشغل عقلك بالنجاة بحياتك وحياة من تحبهم، وفي نفس الوقت ستحمل ما خف وزنه وغلا ثمنه.

وهذا المنطق في التفكير لا يختلف بتغير الأزمنة، فنوح عليه السلام يعلم حجم الكارثة التي ستحل بالمنطقة بعد أن أخبره الله سبحانه وتعالى بها، وقد رأى العلامة التي تدل على وقوع الكارثة والتي تتمثل في «فوران التنور» على التفصيل الذي سبق وأوردناه، فهل نوح وقليلون معه لديهم من الوقت أن يحملوا في السفينة جميع أصناف الحيوانات، خاصة وأن أمر حملهم جاء بعد «فوران التنور»؟ لابد أن الأمر كان يتطلب قدرًا عاليًا من السرعة والدقة حتى ينجز الأمر في أقل وقت ممكن، لذا كان عليهم أن يحملوا فقط ما خف وزنه وغلا ثمنه، أي الحيوانات والدواب التي يستخدمونها في زرعهم وركوبهم، وليس جميع الحيوانات التي يملكونها، ذلك لأن الكارثة على وشك الوقوع، فكان عليهم أن ينفذوا الله عز وجل ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ والله بعد ذلك قادر على أن يزيد نسلها حتى تعود إليهم ثرواتهم، وعلى ذلك فقد أركب الحيوانات المستأنسة التي يستخدمها هو قومه، فهذه ستستجيب بسرعة وتركب في

(أ) من الآية 40 من سورة هود.

http://kotob.has.it

السفينة، أما الحيوانات المفترسة ، فمن ناحية صعب قيادها والسيطرة عليها، ومن ناحية أخرى هل سيبحث نوح ومن معه من المؤمنين عن النجاة من الطوفان، أم سيلقون بأنفسهم فريسة بين أيدي هذه الحيوانات.

وإذا قيل إن الله سبحانه وتعالى هو الذي سيتولى إركابهم في السفينة، نقول إن أمر حمل الحيوانات موجه إلى نوح، أي أن نوح هو الذي سيباشره بنفسه ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فلم يقل سبحانه وتعالى وحملنا فيها من كل زوجين اثنين. والله تعالى أعلى وأعلم.

خامساً: وصف الطوفان وأسبابه:

ركب نوح عليه السلام السفينة هو ومن معه :

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

ثم يأتي الطوفان، وكان المشهد مهولاً :

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[3]

---

(1) هود : 41 .

(2) المؤمنون : 28 .

(3) القمر : 11 ـ 12 .

http://kotob.has.it

فالماء لم يأت من السماء فقط، ولكن تفجرت الأرض، وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى : ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ كيف أن الماء قد خرج من مخرج النار، حتى التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله سبحانه وتعالى، وهو إغراق الكافرين من قوم نوح عليه السلام.

ومن غير المجدي أن نشغل بالنا بالأسباب الطبيعية التي أدت إلى حدوث الطوفان، ذلك أن البحث عن تلك الأسباب يفترض أن مياه الطوفان قد نزلت من السماء، وتفجرت من الأرض طبقًا لنواميس الكون التي وضعها الله سبحانه وتعالى، ولكن المتأمل والمتدبر لآيات القرآن الكريم سيجد أن الطوفان لم يحدث وفقًا لقوانين الكون الطبيعية والتي يألفها الناس، فلم يأت الماء وفقًا للأسباب ، ولكن وفقًا لكلمة «كن»، يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(1)، ويقول جل شأنه:

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(2).

وهذا الذي ذكرنا ليس مجرد قول مرسل عار من أي دليل، ولكنه يجد دليله في كتاب الله عز وجل.

1 - قال سبحانه وتعالى:

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ (3)، فلو كان نزول الماء من السماء

---

(1) من الآية 117 من سورة البقرة.

(2) النحل: 40 .

(3) من الآية 11 من سورة القمر.

http://kotob.has.it

على صورة الأمطار الطبيعية - مهما كانت شدتها- لوصفه الله سبحانه وتعالى بالنزول كما وصفه في كل آيات القرآن الكريم التي قرنت بين السماء والماء، حيث استخدم الحق سبحانه وتعالى الفعل «نزل» وهو كثير، كقوله:

﴿وأنزل من السماء ماء﴾[1]، ومثل قوله سبحانه:

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[2]. وذلك كله لأن صاحب الناموس عطل الناموس وقضى الأمر بكلمة «كن»، وقد جاءت في كتب التفسير قول قريب مما ذكرناه، فقد جاء في تفسير ابن كثير عن ابن عباس[3] :

«لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب (أما في الطوفان) فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب».

4 - قال الحق سبحانه : ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [4]ولم يقل مثلاً فجرنا عيون الأرض، أو فجرنا العيون، وهذا يعني أن هناك من الأماكن ما تفجر منه عيون الماء ما كانت تصلح في الأصل لإخراج الماء، لأنها أماكن جدب، ولا يوجد بها آبار، إذ لو كان الماء تفجر من العيون الطبيعية التي تصلح لمثل هذا العرض لقال مثل قوله سبحانه : ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾[5].

وعلى ذلك نجد أن كلمة «عيون» في الآية الأولى الخاصة بالطوفان قد

---

(1) البقرة : 11 .

(2) ق : 9 .

(3) تفسير ابن كثير للآية 11 من سورة القمر.

(4) من الآية 12 من سورة القمر.

(5) من الآية 34 من سور يس.

http://kotob.has.it

جاءت نكرة أي أنها تدل على غير معين، أما في الآية الثانية فقد جاءت معرفة بأل أي أنها تدل على معين، وكذلك تدل على ما عهده الناس، وهو خروج الماء من العيون التي تصلح لذلك، وكل هذا وإن دل فإنما يدل على تعطيل الناموس..

3 - كذلك رأينا أن علامة الطوفان تمثلت في «فوران التنور» ورأينا أن الماء قد خرج من المكان الذي يجب -طبقًا للنواميس الكونية- أن تخرج منه النار، ولكن الله -سبحانه وتعالى- وهو صاحب الناموس، قد عطله، فأخرج الماء بدلاً من النار، وهذا يشبه تعطيل عمل النار، حتى لا يحرق سيدنا إبراهيم ، يقول المولى عز وجل:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[١].

وعلى ذلك ، فإن البحث عن أسباب الطوفان الطبيعية وفقًا لنواميس الكون، وبناء النتائج على هذه الأسباب، سيكون بحثًا خاطئًا في مقدماته خاطئًا في نتائجه، ومن ثم فإن محاولة بعض العلماء تحديد مكان الطوفان طبقًا لهذه الوجهة من النظر سيكون من قبيل الجدل العقيم الذي لا يقدم بل يؤخر، حيث إن الناموس الكوني الذي وضعه الله سبحانه وتعالى كان معطلاً في ذلك الوقت، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

نعود إلى المشهد المهول للطوفان، فقد انهمر الماء من السماء، وتفجرت الأرض به، ولكن هذا الماء الكثير الذي جاء من أعلى ومن أسفل يجب أن يكون في حالة حركة حتى يقضي على من كفر بالله ، لذا فقط طغى الماء : ﴿ إِنَّا لَمَّا

---

(١) الأنبياء : 69 .

http://kotob.has.it

طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[1] فقد جاوز الماء الحد، وهاجت الأمواج، ويصف الله سبحانه وتعالى السفينة في هذا المشهد فيقول:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[2] فيالعظم المشهد وهوله، ويالجمال التعبير القراني، وفي هذا ما يكفي.

سادساً: المغرقون في الطوفان:

نجد هنا أيضًا أن السلف من المفسرين المسلمين على قولهم بشمولية الطوفان ، وأنه أغرق جميع الناس الموجودين على سطح الأرض، وذلك -كما ذكرنا- لاعتمادهم على الأخبار العبرانية في هذا الشأن، ولكن بإمعان النظر في الآيات الكريمات في شأن المغرقين في طوفان نوح سنجد أن المغرقين كانوا طائفة محدودة من البشر، يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[3]، ومعنى ذلك أن المغرقين في الطوفان هم من كذبوا نوحًا عليه السلام ، ولم يؤمنوا برسالته.

ويقول جل شأنه:

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[4] فالمغرقون هم من كذبوا نوحًا، وهم من أنذرهم نوح بوقوع عذاب الله، ففي الآية تحديد دقيق لمن أغرق في هذا الحادث.

---

(1) الحاقة : 11 .

(2) هود: 42 .

(3) الأعراف من الآية 64 .

(4) يونس: من الآية 73 .

http://kotob.has.it

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[1] فكذلك هناك تحديد بأن المغرقين هم الذين ظلموا.

ويزداد الأمر تحديدًا بأن المغرقين كانوا فقط من قوم نوح الذين كذبوا رسالته ، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[2].

ولكن ، لما كان المفسرون قد جعلوا من عالمية حادث الطوفان مقدمة لا تقبل النقاش ولا الجدال، فقد قاموا بتأويل آي الله تأويلاً يتفق مع هذه المقدمة، ولعل من أهم النصوص -في شأن المغرقين- التي عول عليها المفسرون قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3].

ولعل كلمة «أجمعين» والتي وردت في الآية السابقة هي التي دفعت المفسرين إلى القول بعالمية الطوفان، وأن الله تعالى قد أغرق جميع أهل الأرض، ولكن بقراءة متأنية متدبرة لآي الله يتضح لنا المراد من قوله ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

---

(1) هود: من الآية 37 والمؤمنون من الآية 27 .

(2) الفرقان : 37 .

(3) الأنبياء : 77 .

http://kotob.has.it

١ - وردت كلمة «أجمعين» ثلاث وعشرين مرة في القرآن الكريم، وفي كل مرة كان المقصود منها طائفة معينة من الناس، ولم يقصد بها قط مجموع البشر أو جميع الناس سواء في زمن معين أو في جميع الأزمان، نحو قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1] فكلمة «أجمعين» هنا لا يقصد بها جميع الناس، وإنما المؤمنون فقط، لأن هؤلاء دون غيرهم هم الذين سيلعنون الكافرين.

وكذلك قول جل شأنه:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]، فكلمة أجمعين هنا قصد بها طائفة من الناس، وهم السحرة الذين آمنوا بالله لما رأوا آية موسى عليه السلام.

2 - وقد تأتي كلمة «أجمعين» ويراد بها استثناء بعض الأفراد من الطائفة نفسها التي جاء ذكرها في سياق الآيات، أو الاستثناء من مجموع البشر، مثل قوله تعالى:

﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾[3] فقد أنجى الله أهل لوط باستثناء امرأته.

---

(1) البقرة: 161 .
(2) الأعراف: 124 .
(3) الصافات (134 - 135).

http://kotob.has.it

وكذلك قوله جل شأنه:

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾(1) فالشيطان سيغوي البشر جميعهم باستثناء العباد المخلصين.

3 – استخدم الله سبحانه وتعالى في الآية محل البحث كلمة «أجمعين» ، ولم يستخدم كلمة «جميعًا». والكلمة الأخيرة قد تأتي للدلالة على شمول جميع الناس دون تحديد، مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(2).

وقد تدل كلمة «جميعًا» على طائفة معينة دون استثناء لأحد أفرادها، وهي هنا تتفق مع كلمة «أجمعين» بالتحديد الذي أوضحناه في البند رقم (ا) مثل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾(3).

4 – وعلى ذلك فكلمة «جميعًا» لم ترد في القرآن قط للدلالة على طائفة معينة مع استثناء بعض الأفراد من هذه الطائفة، وإنها اختصت بهذا الأمر كلمة «أجمعين».

5 – والتساؤل الآن، هل كلمة «أجمعين» في الآية محل البحث قصد بها طائفة معينة من الناس، وهم قوم نوح، أم قصد بها هذه الطائفة مع استثناء

(ا) ص : 82 – 83 .

(2) إبراهيم : 8 .

(3) النساء: 71 .

http://kotob.has.it

بعض أفرادها؟

لو قلنا إن المقصود هو كل الطائفة فمعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أغرق قوم نوح -الذين لم يركبوا معه في السفينة- كلهم، ولو قلنا إن المقصود هو تلك الطائفة مع استثناء بعض أفرادها فمعنى ذلك أن هناك من قوم نوح، أو ممن كانوا في منطقة الطوفان ، ولم يركبوا في السفينة، ومع ذلك لم يكونوا من المغرقين. وفي الحالين هذا دليل على أن الطوفان لم يغرق جميع أهل الأرض كما توهم المفسرون.

نعود لنجيب على التساؤل لمعرفة المقصود من كلمة «أجمعين» في الآية محل البحث، وهنا علينا أن نعقد مقارنة مع حادثة مشابه جاء به القرآن الكريم، وهو إغراق فرعون ومن اتبعه من قومه، وفي ذلك يقول الحق سبحانه:

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [1] وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد أغرق طائفة معينة، شملت فرعون وقومه، ولكن هل استثنى الله بعض قوم فرعون ولم يغرقهم؟

الإجابة: لا، ذلك لأنه سبحانه وتعالى قال في موضع آخر: :

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾[2] فكلمة «جميعًا» هنا تدل - كما أسلفنا- على شمول جميع الطائفة بلا استثناء، وعلى ذلك فقد غرق فرعون هو وكل من معه.

---

(1) الزخرف: 55 .

(2) الإسراء: 103 .

http://kotob.has.it

أما في الآية محل البحث :

﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]. فكلمة «أجمعين» في حد ذاتها تدل على أن الإغراق كان لطائفة معينة، ألا وهي قوم نوح ممن لم يركبوا معه في السفينة، فهل أغرقوا جميعًا كما هو الحال بالنسبة لفرعون ومن معه؟

في الحقيقة لم ترد آية في القرآن الكريم تصف هذه الواقعة بلفظة «جميعًا» كما هو الحال بالنسبة لقوم فرعون، وعلى هذا فالمراد بكلمة «أجمعين» هنا طائفة من الناس مع استثناء بعض الأفراد. وعلى هذا فليس كل من يركب في السفينة قد أغرقه الطوفان، بل هناك من لم يركب ومع ذلك نجا بحياته.

ويساند النتيجة السابقة ذلك الحوار الذي دار بين نوح عليه السلام وابنه، والذي حاول فيه نوح إقناعه بالركوب معه في السفينة :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[2].

فقوله سبحانه وتعالى : ﴿إلا من رحم﴾ يدل على أنه هناك من كتبت له النجاة وفي نفس الوقت ليس من ركاب السفينة، إذ لو كان الأمر كذلك لقال:

---

(1) الأنبياء : 77 .

(2) هود (42 - 43).

http://kotob.has.it

إلا من ركب، وهؤلاء الذين نجوا ليسوا ممن أنذرهم نوح عليه السلام وكذبوا بآياته ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[1] فهؤلاء جميعًا أغرقوا، أما من لم يُنذَر وفي نفس الوقت كان حاضرًا في منطقة الحدث فقد دخل في نطاق «من رحم» ذلك لأنه لا ذنب له، كأن يكون تاجرًا قد جاء في تجارة، أو عابر سبيل، أو كان يقيم في منطقة قريبة من منطقة الحدث فكتبت له النجاة. والله تعالى أعلى وأعلم.

سابعًا : الناجون من الطوفان:

الناجون من الطوفان هم بداية من ركب مع نوح في السفينة ممن أنذرهم نوح واستجابوا له، وذلك لقوله تعالى:

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾[2].

و ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾[3].

و ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[4].

و ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[5].

ولكن من هم ركاب السفينة؟

يقول الحق سبحانه وتعالى:

---

(1) هود : من الآية 37 ، المؤمنون: من الآية 27 .

(2) الأعراف من الآية 64 .

(3) يونس من الآية 73 .

(4) الشعراء : 119 .

(5) العنكبوت : 15 .

http://kotob.has.it

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وإذا كنا قد سبق وحددنا ركاب السفينة من الحيوانات، فسوف نلقي الضوء هنا على ركابها من البشر.

والنص القرآني قاطع الدلالة على أن ركاب السفينة لم يكونوا فقط نوح وأهله، ولكن كان معه ﴿من آمن﴾ من قومه ولو كانوا قليلاً ، وهذا القليل قدره المفسرون - طبقًا للروايات التي اعتمدوا عليها - بأرقام متفاوتة أقلها ستة وأكثرها ثمانين، ولكن هذه الأرقام لا يمكن الاعتماد عليها لضعف الروايات التي نقلت عنها، ولكن ما يمكن التسليم به أن كلمة «قليل» هي كلمة نسبية، وهذا يتوقف على معرفة عدد قوم نوح عليه السلام، فلو فرضنا مثلاً أن عدد قوم نوح كان قد بلغ مائة ألف أو مائتي ألف، وآمن معه عشرة آلاف أو خمسة آلاف، فهذا الرقم بالنسبة للرقم الكلي يعتبر قليلاً، ولكنه من القليل الذي لا يستهان به.

ولكن لم يحمل نوح عليه السلام جميع أهله علي السفينة، فقد استثنى البعض :

﴿ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ وقد سبق ورأينا كيف أن أحد أبناء نوح قد غرق مع من غرق، أما بالنسبة لامرأة نوح فالأمر جد مختلف، يقول الحق سبحانه وتعالى:

---

(١) هود : 40 ـ 41 .

http://kotob.has.it

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(1) فهل أصاب زوجة نوح ما أصاب الكافرين من قومه مثلما هو حال زوجة لوط؟

نجد أن الآيات كانت صريحة، وفي أكثر من موضع على أن امرأة لوط قد أصابها ما أصاب قومه:

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾(2).

أما بخصوص امرأة نوح عليه السلام فلم يرد نص صريح يفيد أنها أغرقت مع من غرق. فهل كتبت لها النجاة أم كانت من المغرقين؟

وهذا التساؤل السابق ليس من قبيل الجدل العقيم عديم الفائدة، إذ لو كانت الإجابة بنعم، فسوف تتسع دائرة الناجين من الطوفان لتشمل كل من ركب السفينة سواء كان مؤمنًا أم لا.

قد يقول قائل كيف ركب مع نوح في السفينة أناس من غير المؤمنين وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ لو دققنا النظر لوجدنا أن الأمر به وجوب لحمل من ذكرهم النص، ولكن لم يمنع أن يحمل نوح آخرين، ولكن بشرط ألا يكونوا من

---

(1) التحريم : 10 .

(2) هود: من الآية 81 .

http://kotob.has.it

الظالمين، لأنه وكما ذكرنا في حديثنا عن المغرقين، أن الظالمين الذين أنذرهم نوح وكذبوا بآياته ، وكانوا قوم سوء، كل هؤلاء أغرقوا، إذن فالمغرقين كان لهم أوصاف حددها الله سبحانه وتعالى، ولعل أهمها «الظلم»:

﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1] اما من كفر ولم يظلم، ومن أظهر عكس ما يبطن ، فكل هؤلاء طلبوا النجاة، و نالوها بركوبهم في السفينة.

وهذا الذي ذكرناه له سند من نصوص القرآن الكريم نفسها، فالحوار الذي دار بين نوح وابنه الذي غرق جاء فيه:

﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾[2] فقد قال نوح عليه السلام لابنه: ﴿ ارْكَب مَّعَنَا ﴾ ولم يقل «آمن معنا»، وعلى ذلك مجرد «الركوب» في السفينة كان سيحقق له النجاة، بغض النظر عما يضمره في قلبه من كفر.

كذلك قال نوح عليه السلام لابنه: ﴿ وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾ و«مع» تدل على المصاحبة، أي أنه نهج نهجهم، واتبع أسلوب الكافرين الذين ظلموا، الذين لم يخطر ببالهم عظم الكارثة التي حلت بهم، فظنوا أنهم ناجون حتى ولو لم يركبوا في السفينة، ولو كان الأمر خلاف ذلك، لقال نوح عليه السلام لابنه «لا تكن من الكافرين» وعلى ذلك فهو لم يطلب منه الإيمان، بل طلب منه الركوب وعدم مصاحبة الكافرين، وكان هذا كافٍ لنجاته، وهذا بالفعل ما حدث مع امرأة نوح عليه السلام ومع قليلين كانوا في السفينة وحالهم مثل حالها.

(1) سورة هود: من الآية 44 .
(2) سورة هود: من الآية 42 .

http://kotob.has.it

وهناك دليل آخر على أن ليس كل من ركب في السفينة مؤمنًا، وذلك في قوله تعالى:

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) وامم جمع «أمة» وهي الجماعة، والنص قاطع وصريح في أن السلام والبركات لم تشمل كل الجماعات التي ركبت في السفينة، ولكن شمل بعضها دون البعض الآخر، فلو كان جميع من ركب كانوا من المؤمنين لما وجدنا هذه المغايرة. ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ و«ممن» تتكون من: «من» التبعيضية و«مَن» الموصولة، فيكون المعنى: «على أمم من الذين معك»، أما إذا كان كل الركاب الموجودين على السفينة كانوا من الجماعة المؤمنة المشمولة بالسلام والبركات، لقال سبحانه وتعالى: «وعلى الأمم التي معك»، فعلى ذلك هناك جماعتان ، إحداهما مؤمنة مشمولة بالسلام والبركات، وأخرى لم تؤمن فلم يشملها لا السلام ولا البركات، والله تعالى أعلى وأعلم.

وعلى ذلك ، فيكون من كتبت له النجاة من الطوفان ، طبقًا لما ذكرناه في هذا البند والبند السابق هم كالتالي:

1 – نوح عليه السلام .

2 – أهله ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾.

3 – من لم يركب في السفينة ولكن نال رحمة الله ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾.

---

(١) سورة هود: 48 .

http://kotob.has.it

4 - من آمن من ركاب السفينة.

5 - من ركب في السفينة من غير المؤمنين، ومثلهم امرأة نوح عليه السلام.

ثامناً : انتهاء الطوفان:

مثلما بدأ الطوفان بأمر مباشر من الله سبحانه وتعالى بكلمة «كن»، كما سبق وذكرنا عند الحديث عن وصف الطوفان وأسبابه، نجد كذلك أن انتهاء الطوفان كان بنفس الأسلوب. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وللإمام القرطبي قول جميل في تفسير هذه الآية حيث يقول رحمه الله:

«لو فتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها وبلاغة رصفها واشتمال المعاني فيها، وفي الأثر إن الله تعالى لا يخلي الأرض من المطر في عام أو عامين وأنه ما نزل من السماء قط إلا بحفظ ملك موكل به إلا ما كان من ماء الطوفان فإنه خرج منه ما لا يحفظه الملك وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة: ١١) فجرت بهم السفينة إلى أن تناهى الأمر فأمر الله الماء المنهمر من السماء بالإمساك وأمر الله الأرض بالابتلاع، يقال: بلع الماء يبلعه مثل منع يمنع وبلع يبلع مثل حمد يحمد لغتان حكاهما الكسائي والفراء، والبالوعة الموضع الذي يشرب الماء.

---

(1) هود 44 .

http://kotob.has.it

قال ابن العربي: التقى الماثين على أمر قد قدر، ما كان في الأرض وما نزل من السماء، فأمر الله تعالى ما نزل من السماء بالإقلاع فلم تمتص الأرض منه قطرة، وأمر الأرض بابتلاع ما خرج منها فقط.

وعلى ذلك ، فقد فهم المفسرون أن الطوفان قد بدأ بكلمة «كن» وانتهى بها؛ فالسماء فتحت أبوابها بالماء، والأرض التي تفجرت بها عاد كلاهما - تنفيذاً للأمر الإلهي- فأخذ ماءه من حيث أتى به، لذا نعود ونكرر أن محاولة تحديد مكان الطوفان عن طريق علم الجيولوجيا لن يأتي بنتائج مثمرة، لأن الأمور عادت كأولها بعدما انتهى الطوفان، ولم تترك أثرًا يذكر يمكن الاستهداء به في ذلك الشأن.

وذلك الذي ذكرناه يماثل ما حدث في قصة موسى عليه السلام وفرعون، حيث يقول الحق سبحانه:

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ ﴾[2] فقد ظهر هذا الطريق اليابس في البحر بكلمة «كن»، واختفى بنفس الكلمة، ولم يظهر بسبب، إذ لو كان كذلك لوجدنا له أثرًا، ولحددنا موضع غرق فرعون وجنوده تحديدًا لا مراء فيه، وهذا ما لم يحدث ولن يحدث. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(1) البقرة : 50 .

(2) طه : 77 .

http://kotob.has.it

الفصل الخامس

الطوفان بين الأسطورة والتوراة والقرآن

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الخامس

الطوفان بين
الأسطورة والتوراة والقرآن

والآن ، وبعد أن عرضنا لمختلف النصوص الأسطورية، والتوراتية، والقرآنية يكون حري بنا أن نجري مقارنة بين هذه النصوص حتى نصل إلى النتائج التي ستقودنا إليها هذه المقارنة.

وجدير بالذكر أن هناك من سبقنا في إجراء المقارنة بين مختلف نصوص قصة الطوفان، فعلى سبيل المثال، سبق وقام طه باقر بإجراء مقارنة بين «أسطورة أوتو نبشتم» وبين نص التوراة بهامش كتابه المعروف «ملحمة كلكامش»، وكذلك قام فراس السواح بإجراء المقارنة بين النصوص السومرية والبابلية وبين نصوص التوراة في كتابه «مغامرة العقل الأولى»، كما قام د. فاضل عبد الواحد علي بإجراء مقارنة بين مختلف النصوص المسمارية في كتابه «الطوفان في المراجع المسمارية»، وسوف نضع مختلف هذه المقارنات في الاعتبار، مع ملاحظة أننا سوف نزيد من نطاق المقارنة، أولاً من حيث نقاط

http://kotob.has.it

البحث، وثانيًا بمقارنة مختلف هذه النصوص بنصوص القرآن الكريم وهو ما لم تفعله المصادر المشار إليها.

أولاً : سبب الطوفان:

تتفق المصادر الثلاثة - الأسطورة والتوراة والقرآن - على أن فساد الأخلاق، وانتشار الشر ، ومخالفة الأوامر الإلهية . . . هي الأسباب التي أدت إلى صدور القرار الإلهي بإحداث الطوفان.

ففي أسطورة «أوتو - نبشتم» ، ومن خلال الحوار الذي دار بين الإله «إيا» والإله «إنليل» ، يتضح لنا أن إحداث الطوفان كان بسبب ما ارتكبه البشر من أوزار، تقول النصوص:

وعندئذ فتح "إيا" فاه وقال مخاطبًا البطل "إنليل":

"أيها البطل، أنت أحكم الآلهة

فكيف لم تترو فأحدثت عباب الطوفان؟

حمل المخطئ وزر خطيئته

وحمل المعتدي إثم اعتدائه

ولكن ارحم (المخطئ والمعتدي) لئلا يهلك

وتشدد (في عقابه) لئلا يمعن في الشر.

أما في أسطورة «أترا - حاسس» ، فقد ذكر سبب الطوفان بأسلوب مجازي، حيث رمزوا إلى الشر بضوضاء الناس وضجيجهم مما حرم الإله

http://kotob.has.it

«إنليل» من النوم؛ فسلط عليهم الأمراض، ثم منع عنهم الأمطار، وأخيرًا أرسل عليهم الطوفان:

ولم تكد تمضي ستمائة وستمائة عام

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس

وأصبحت البلاد تخور كالثور

فانزعج الإله "إنليل" من ضجيجهم

أجل، لقد سمع "إنليل" ضجيجهم

فقال مخاطبًا الآلهة العظام

لقد أصبح صخب البشر شديدًا عليَّ

وقد حرمني ضجيجهم من النوم

أما في النصوص التوراتية، فإننا نلمح تشابهًا ملحوظًا بينها وبين النصوص الأسطورية، خاصة تكاثر الناس، وكثرة شرهم، وهو عين ما ذكرته أسطورة «أترا حاسس» . تقول النصوص:

"وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات. أن أبناء الله رأوا الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا . . . كان في الأرض طغاة في تلك الأيام، وبعد ذلك أيضًا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا. هؤلاء هم الجبابرة

http://kotob.has.it

الذين منذ الدهر ذووا الاسم. ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور قلبه إنما هو شرير كل يوم»[1] «وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلمًا»[2].

أما نصوص القرآن الكريم فقد ذكرت أسباب عدة أدت لإرسال الطوفان، وكلها تجتمع على عدم طاعة الله عز وجل، ولعل أقواها تمثل في الكفر بالله والشرك به - كما أسلفنا في الفصل السابق- يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[3].

وكذلك يقول الحق سبحانه:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[4].

كذلك أُغرق قوم نوح بظلمهم:

﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[5].

و ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[6].

---

(1) تكوين (6 : 1 - 5). (2) تكوين (6 : 11).
(3) هود (25 - 26) (4) الأعراف: 59.
(5) هود من الآية 37 ، والمؤمنون من الآية 27 .
(6) الفرقان : 37 .

http://kotob.has.it

وكانوا قومًا عمين عن الحق:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾[1].

وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾[2].

وعلى ذلك نجد أن المصادر الثلاثة كلها تصرح بأن السبب في إرسال الطوفان يتمثل في معاقبة كل من خالف أوامر الله ولم يجتنب نواهيه مع الاختلاف في التعبير والبيان.

ثانيًا: بطل الطوفان:

«زيو – سدرا» هو بطل الطوفان السومري، وبعني اسمه «الخالد» أو «ذو الحياة الطويلة»، أما في القصة البابلية فهو «أوتو – نبشتم» والذي يعني اسمه «الذي أدرك الحياة»، وفي ملحمة «أترا – حاسس» فإن الاسم يعني «المتناهي في الحكمة».

وكان بطل الطوفان في الأساطير هو دائمًا التقي الورع، جاء في أسطورة «زيو – سدرا»:

في تلك الأيام كان "زيو – سدرا" ملكًا وقيمًا على المعبد

وكان تقيًا ورعًا يكثر من الدعاء والتضرع

(1) الأعراف: 64 .

(2) البقرة : 18 .

http://kotob.has.it

كان يقوم على الدوام خاشعًا للآلهة

وكذلك الأمر في النصوص التوراتية، فنوح كان ذا حياة طويلة تقول النصوص:

"وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة، فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة"[1].

وكذلك كان نوح خاشعًا للرب عابدًا له:

"وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب. . كان نوحًا رجلاً بارًا كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله"[2].

وفي نصوص القرآن الكريم نجد أن نوحًا قد عاش من العمر أرذله، يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[3].

وأنعم عليه الحق سبحانه وتعالى:

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾[4].

---

(1) تكوين (9 : 28 - 29).
(2) تكوين (6 : 8 - 9).
(3) العنكبوت: 14 .
(4) الصافات (79 - 82).

http://kotob.has.it

وعلى ذلك تجمع جميع النصوص في المصادر الثلاثة على أن بطل الطوفان هو رجل بار، صالح، مؤمن بربه، عابد له، وأن الله قد أنعم عليه بالعمر المديد.

ثالثاً: الإعلام بحدوث الطوفان:

اتفقت المصادر الثلاثة في أن بطل الطوفان قد علم مسبقًا بحدوث الطوفان، وأن هذا الإعلام كان من جهة إلهية، فقد سمع «زيو - سدرا» الإله «إنكي» يخبره الخبر من وراء الجدار:

وسمع "زيو - سدرا" وهو واقف إلى جانبه
كان يقف إلى الجانب الأيسر من الجدار:
يا جدار أريد أن أكلمك فاستمع لكلامي
وتفهم قولي وإرشادي
ستهب عاصفة الطوفان وتجرف المدن والمنازل
وأن تدمير نسل البشرية
هو القرار المحتوم من مجمع الآلهة

وفي أسطورة «أوتو - نبشتم» نجد أن الإله «إيا» قد خاطب كوخ القصب، وأعلمه بالحادثة، والخطاب به تورية، فهو موجه إلى صاحب الكوخ أي «أوتو - نبشتم»، تقول النصوص:

يا كوخ ! يا كوخ القصب ! يا جدار، يا جدار

http://kotob.has.it

اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط

أيها الرجل "الشروباكي" يا ابن "أوبار - توتو"[أ]

قوض البيت وابن لك فلكًا

تخل عن مالك وانشد النجاة

انبذ الملك وخلص حياتك

وفي أسطورة «أترا - حاسس»، يرى رؤيا ، فيسأل الإله «إنكي» عن تفسيرها، تقول النصوص:

فتح "أترا - حاسس" فاه

وخاطب سيده قائلاً:

"عبر لي عن معنى الرؤيا

حتى أعرف مغزاها ونتيجتها"

ففتح "إنكي" فاه، وقال مخاطبًا عبده:

أنت تريد أن تعرف مغزى الرؤيا

فانتبه إلى المعنى الذي سأبلغك به:

يا حائط! اسمعني يا حائط

يا كوخ القصب أتفهم كلماتي

(أ) أوبار - توتو» هو والد «أوتو - نبشتم».

http://kotob.has.it

انقض بيتك وابن لك فلكًا

انبذ المال واخ بحياتك

وفي نصوص التوراة كان إعلام نوح مباشرًا دون واسطة:

"فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلأت ظلمًا منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلكًا من خشب جُفْر"[1].

وكذلك:

"فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء"[2].

أما في نصوص القرآن الكريم، فقد كان الإعلام عن طريق الوحي، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[3].

ويقول جل شأنه:

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[4].

---

(1) تكوين (6 : 13 ـ 14).

(2) تكوين (6 : 17).

(3) المؤمنون : من الآية 27 .

(4) هود: 37 .

http://kotob.has.it

رابعًا: صنع السفينة:

تتفق كذلك المصادر الثلاثة -مع اختلاف في التفاصيل- في أن الأمر بصنع السفينة كان أمرًا إلهيًا، وكذلك الطريقة التي صنعت بها، وفي هذا ما يدل على أنها كانت سفينة ليست كباقي السفن، وذلك حتى يتسنى لها الصمود أمام الطوفان الجارف.

ففي نصوص أسطورة «أوتو - نبشتم» يأمره الإله «إنكي» ببناء السفينة والتخلي عن كل ما يملك لينجو بحياته:

قوض البيت وابن لك فلكًا

تخل عن مال وانشد النجاة

انبذ الملك وخلص حياتك

وعن وصف السفينة وطريقة بنائها تقول نفس النصوص:

"وكان سطح أرضها "ايكو" واحدًا وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعًا[أ]

وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرون ذراعًا

(أ) الـ «ايكو» البابلي مساحة سطحية تعادل نحو 3600 مترًا مربعًا أي نحو «ايكر» واحد (ويساوي الـ «ايكر» البابلي نحو 4000 مترًا مربعًا). أما الذراع البابلية فتساوي نحو نصف متر (أي بقدر الذراع العربية تقريبًا)، وبما أن ارتفاعها 60 م (120 ذراعًا) فيكون شكل السفينة «أوتو - نبشتم» مكعبًا منتظمًا وسعتها نحو 216000 مترًا مكعبًا.

http://kotob.has.it

حددت شكلها هكذا:

جعلت فيها ستة طوابق (سفلية)

وبهذا قسمتها إلى سبعة طوابق

وقسمت أرضها إلى تسعة أقسام[1]

وحشوتها وغرزت فيها أوتاد الماء

ووضعت فيها المرادي[2] وجهزتها بالمؤن

سكبت ستة شارات[3] في الكورة

سكبت أيضًا ثلاثة شارات من القطران

وجلب حاملو السلال ثلاثة "شارات" من السمن

بالإضافة إلى شار واحد من السمن لحشو أوتاد الماء

وفي أسطورة «أترا - حاسس» يخبره الإله «إنكي» بكيفية بناء السفينة فيقول:

والسفينة التي ستبنى

احكم بناءها كمياه الأبسو

---

(1) أي أن كل طابق من الطوابق قسمه «أوتو - نبشتم» إلى تسعة أقسام.

(2) مرادي: جمع مردي، وهي الخشبة التي يدفع بها السفينة.

(3) الـ «شار» البابلي كيل أو قياس حجم بالإضافة إلى إنه مساحة سطحية.

http://kotob.has.it

بحيث لا ترى الشمس داخلها

واحكم سقفها من الأعلى والأسفل

ولتكن حبالها متينة قوية

وليكن القبر ثخينًا لتكون السفينة قوية

وفي التوراة نكاد نجد تطابقًا بينها وبين النصوص الأسطورية في هذا الشأن:

"اصنع لنفسك فُلْكًا من خشب جُفْر.تجعل الفلك مساكن. وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. وهكذا تصنعه: ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعًا عرضه وثلاثين ذراعًا ارتفاعه. وتصنع كوا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق. وتضع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله»[1].

أما نصوص القرآن فكما ذكرنا ، لا تهتم كثيرًا بالتفصيلات، لذا فقد اكتفت بإخبارنا بأن صنع السفينة وطريقة صنعها كانا بأمر إلهي:

﴿ واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[2].

وكذلك:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[3]. وقد سبق وأشرنا في

(1) تكوين (6 : 14 ـ 16).

(2) هود : 37 .

(3) المؤمنون من الآية 27 .

http://kotob.has.it

الفصل السابق لأقوال المفسرين في هذا الشأن، وكيف أنهم تأثروا بالإسرائيليات.

خامساً: علامة بدء الطوفان:

تتفق المصادر الثلاثة على أن بطل الطوفان قد أُعطي له علامة يعرف من خلالها أن الطوفان على وشك الوقوع، فكانت العلامة في أسطورة «أوتو - نبشتم» كالتالي:

وضرب لي الإله "شمش" موعدًا معينًا حيث قال:

حينما ينزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك

فادخل في السفينة واغلق بابك

أما في نصوص التوراة فقد تم تحديد ميعاد الطوفان بدون إعطاء علامة:

"لأني بعد سبعة أيام أيضًا أُمطر على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة".

وفي القرآن الكريم كانت العلامة هي فوران «التنور»:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[1].

و ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[2]. وقد سبق وأوضحنا المقصود بالتنور في الفصل السابق.

---

(1) هود: 37 .

(2) المؤمنون من الآية 27..

http://kotob.has.it

سادساً: ركاب السفينة:

تتفق المصادر الثلاثة على أن ركاب السفينة كانوا من البشر والحيوان، وذلك مع الاختلاف في التفاصيل:

وقد جاء في أسطورة «أوتو - نبشتم»:

وكل ما عندي من فضة حملته فيها[1]

وحملت فيها كل ما عندي من ذهب

وحملت كل ما فيها من المخلوقات الحية

أركبت فيها جميع أهلي وذوي قرباي

أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر

وجميع الصناع أركبتهم فيها

وجاء في أسطورة «أترا - حاسس» في كسرة من لوح يرجع عهده إلى العصر الآشوري الحديث[2]:

وترقب الوقت المحدد الذي سوف أخبرك عنه[3]

ثم ادخل السفينة واغلق بابها

واحمل فيها شعيرك وأمتعتك وأموالك

---

(1) الكلام على لسان «أوتو - نبشتم».

(2) د. فاضل عبد الواحد - الطوفان في المراجع المسمارية - ص 173 .

(3) الكلام على لسان الإله «إنكي».

http://kotob.has.it

وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمال الماهرين

وسأرسل إليك كل حيوان السهل وكل حيوان يأكل العشب في السهل

وإنها سوف تنتظر عند بابك

وفي نصوص التوراة فإن ركاب السفينة ذكروا بطريقة أكثرًا تفصيلاً - خاصة فيما يخص الحيوانات - بصورة أوقعت النصوص في التناقض.

جاء في الأصحاح السادس :

"فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك. ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تُدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرًا وأنثى. من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها. وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك. فيكون ذلك طعامًا."[1].

وجاء في الأصحاح السابع:

"من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرًا وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرًا وأنثى. ومن طيور السماء أيضًا سبعة ذكرًا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض"[2].

---

(1) تكوين (6 : 18 - 21).

(2) تكوين (7 : 2 - 3).

http://kotob.has.it

وكذلك جاء في نفس الأصحاح:

"فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان. ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرًا وأنثى كما أمر الله نوحًا" (١).

والتناقض واضح بين ما ورد في الأصحاح السادس وما ورد في الأصحاح السابع، ففي النص الأول يؤمر نوح بإدخال الحيوانات بغض النظر عن طهارتها، أما في النص الثاني فإنه يفرق بين ما هو طاهر وما هو غير طاهر، فالنوع الأول يأخذ منه «سبعة سبعة» أما النوع الثاني يأخذ منه «اثنين ذكر وأنثى».

والنص التوراتي يصرح بأن الركاب من البشر كانوا ثمانية فقط: نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه. وذلك من وضع اليهود لعلة سنوضحها في حينه إن شاء الله. والتوراة في هذا الشأن تخالف الأسطورة التي جعلت - كما رأينا- عدد الركاب أكبر من ذلك، فقد أركب بطل الطوفان أهله، وذوي القربى، والصناع.

- تتفق نصوص التوراة مع نصوص أسطورة «أترا - حاسس» من حيث إن الحيوانات دخلت الفلك من تلقاء نفسها، بتسخير إلهي، فقد جاء في الأسطورة: «وسأرسل إليك كل حيوان السهل». وجاء في التوراة: «... ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض دخل اثنان اثنان إلى نوح..».

---

(١) تكوين (7 : 6 - 9).

http://kotob.has.it

أما النص القرآن فلم يهتم - كعادته- بالتفصيلات، ولكنه أوضح أن الركاب كانوا من البشر والحيوانات، يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وقد سبق وفصلنا هذا الأمر في الفصل السابق عند الحديث عن ركاب السفينة، وكذلك عند حديثنا عن الناجين من الطوفان، لكن نضيف هنا أن نصوص القرآن الكريم والنصوص الأسطورية تتفق في أن ركاب السفينة من البشر لم يكونوا فقط بطل الطوفان وأهله، وإنما كان معهم ركاب آخرين، وذلك خلافًا لما جاء بالنص التوراتي؛ ففي النص القرآني حمل نوح أهله ومن آمن معه، أما في النص الأسطوري فقد حمل معه أقرباءه، وأصدقاءه والصناع.

سابعًا: وصف الطوفان:

تتفق النصوص في أن سبب الطوفان هو نزول الماء من السماء، وانبثاقه من باطن الأرض، وشدة العواصف التي أوصلت الموج إلى أعلى درجاته، حتى إنه كان كالجبال.

ففي أسطورة «أوتو - نبشتم» تسبب الطوفان عن العاصفة والأمطار والمياه السفلية، فـ «أدد» إله الرعود والبروق والصواعق والأمطار قد انطلق يسبقه

(1) هود (40 - 41).

http://kotob.has.it

مساعداه «شُلاّت» و«خانيش» و«إيراكال» أو «نرجال» فتح فوهات العالم الأسفل بأن «نزع الأعمدة» فانطلقت مياه الأعماق الحبيسة. و«ننورتا» إله السدود والري فتح سدوده قنواته ففاضت دونما ضابط[أ]، وفي ذلك تقول النصوص:

علت من الأفق غمامة سوداء

وفي داخلها أرعد الإله "أدد"

وكان يسير أمامه "شُلاّت" و"خانيش"

وهما ينذران أمامه في الجبال وفي السهول

ونزع الإله "إيراكال" الأعمدة

ثم أعقبه الإله "ننورتا" الذي فتق السدود

وفي أسطورة «زيو - سدرا» كان التأكيد على الرياح والعواصف والأعاصير:

وتجمعت كل الرياح والعواصف المدمرة

وجرف عباب الطوفان جميع المدن

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

ولم يختلف الأمر كثيرًا في نصوص التوراة، وإن كانت قد جاءت بتفاصيل أكثر:

(أ) مغامرة العقل الأولى - ص 190 .

http://kotob.has.it

"انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وتفتحت طاقات السماء"(1)

"وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض. فكان الفلك يسير على وجه المياه. وتعاظمت المياه كثيرًا جدًا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. خمس عشرة ذراعًا في الارتفاع تعاظمت المياه. فتغطت الجبال"(2).

ولنا ملاحظة على النص التوراتي، فقد ارتفعت المياه إلى «خمس عشرة ذراعًا» ومع ذلك تغطت جميع الجبال، فإذا كانت الخمس عشرة ذراعًا تساوي تقريبًا سبعة أمطار ونصف، فهل هذا الارتفاع كاف ليغطي الجبال؟!

أما في النص القرآني - كما أوضحنا في الفصل السابق - فإن الأمر لم يختلف كثيرًا ، فقد انهمر الماء من السماء وتفجر من الأرض:

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾(3).

وطغى الماء وتعاظم الموج كالجبال:

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾(4).

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾(5).

---

(1) تكوين (7 : 11).
(2) تكوين (7 : 18 - 20).
(3) القمر : 11 - 12 .
(4) الحاقة : 11 .
(5) هود: 42 .

http://kotob.has.it

ثامنًا: المغرقون في الطوفان:

اختلفت المصادر الثلاثة في تحديد كم المغرقين في الطوفان، فهل تم إغراق كل سكان الأرض، أم أن عدد المغرقين كان محدودًا؟

جاء على لسان «أوتو - نبشتم» بطل الطوفان البابلي:

ورأيت البشر وقد عادوا جميعًا إلى طين

وبالطبع فإن مساحة الرؤية لأي شخص لا يمكن أن تتعدى مساحة معينة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النص لم يصرح بأن جميع أهل الأرض قد غرقوا.

أما في نصوص التوراة، فقد كان جل هم كُتَّاب التوراة أن يُظهروا أن الطوفان قد أفنى كل المخلوقات الموجودة على ظهر الأرض، وذلك لغرض سنوضحه في حينه إن شاء الله، وفي ذلك تقول النصوص:

"فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض. من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض. وتبقّى نوح والذين معه في الفلك فقط»[1].

---

(١) تكوين (7 : 21- 23).

http://kotob.has.it

أمـا نصـوص القـرآن الكريم فـهي صـريحـة في أن الطوفـان لم يغـرق إلا المنذرين الظالمين الذين كذبوا من قوم نوح فقط، وبالتالي فهي لا تعترف بعالمية الطوفان كما سيتضح في حينه إن شاء الله. وفي ذلك تقول النصوص:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾(1).

وقوله سبحانه:

﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾(2)، فالمغرقون هم من كذبوا نوحًا والذين قام بإنذارهم بوقوع عذاب الله فلم يستجيبوا.

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(3).

ويزداد الأمـر تحـديدًا بأن المغـرقين كانـوا فقط من قـوم نوح الظالمين الذي كذبوا برسالته، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (4).

وعلى ذلك نجـد أن نصـوص القـرآن الكريم(5) قـد اتفـقت مع النصـوص

---

(1) الأعراف: من الآية 64 .

(2) يونس : من الآية 73 .

(3) هود : من الآية 37، والمؤمنون من الآية 27 .

(4) الفرقان 37 .

(5) راجع الفصل السابق - موضوع المغرقين في الطوفان.

http://kotob.has.it

الأسطورية في أن الطوفان لم يغرق إلا مجموعة محددة من البشر، في حين تفردت التوراة - كما أراد كاتبوها- بأن الطوفان قد أغرق جميع المخلوقات الموجودة على وجه الأرض.

تاسعًا: الناجون من الطوفان:

طالما أن هناك خلاف بين المصادر في كم المغرقين في الطوفان، فمن البديهي أن يكون هناك خلافًا كذلك فيما يخص الناجون منه.

الناجون حسب ما جاء في النصوص الأسطورية هم ركاب السفينة، وهم طبقًا لأطورة «أوتو - نبشتم»:

أركبت فيها جميع أهلي وذوي قرباي

وجميع الصناع أركبتهم فيها

وطبقًا لأسطورة «أترا - حاسس»:

وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمال الماهرين.

وعلى ذلك ، فقد اتفق النصان في أن الناجين من الطوفان ليسوا أهل بطل الطوفان وحده، بل كان معهم آخرين.

وفي نصوص التوراة كان الناجون هم من ركبوا السفينة، وهم : نوح، وامرأته، وبنوه، ونساء بنيه:

اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك»[1].

---

(1) تكوين (8: 16).

http://kotob.has.it

وطبقًا للنصوص الصريحة في القرآن الكريم، فإن الناجين هم نوح ومن معه في الفلك، وذلك لقوله تعالى:

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾[1].

و ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾[2].

و ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[3].

و ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[4].

وركاب السفينة كما ذكرتهم الآية هم:

﴿ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[5].

وقد سبق وأوضحنا في الفصل السابق أن الناجين من الطوفان ليسوا فقط من ذكرتهم الآيات صراحة، ولكن هناك فئات أخرى كتبت لهم النجاة على النحو الذي فصلناه.

وعلى ذلك، نجد أن التوراة لم تذكر من الناجين إلا نوحًا وأهله فقط، في حين أن دائرة النجاة تتسع لأكثر من ذلك طبقًا لنصوص القرآن الكريم والنصوص الأسطورية.

---

(1) الأعراف من الآية 64 .

(2) يونس : من الآية 73 .

(3) الشعراء 119 .

(4) العنكبوت : 15 .

(5) هود : من الآية 40 .

http://kotob.has.it

عاشراً: مدة الطوفان:

ذكرت النصوص الأسطورية أن مدة الطوفان كانت سبعة أيام، ففي أسطورة «زيو - سدرا»:

وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طوال سبعة أيام وسبع ليال

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

أشرقت الشمس وأضاءت الأرض والسماء

وفي أسطورة «أوتو - نبشتم»:

ستة أيام وسبع أمسيات

وزوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد

ولما حل اليوم السابع خفت وطأة الزوابع

وفي أسطورة «أترا - حاسس»:

وطول سبعة أيام وسبع ليال

عم الطوفان والزوابع

أما في التوراة، فقد جاءت النصوص متضاربة في هذا الشأن: ففي الأصحاح السابع:

"وكان المطر على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة"(أ)

(أ) تكوين : 7 : 12 .

http://kotob.has.it

وفي نفس الأصحاح:

"وكان الطوفان أربعين يومًا على الأرض"[1].

وفي الأصحاح الثامن:

"وحدث من بعد أربعين يومًا أن نوحًا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها، وأرسل الغراب فخرج مترددًا حتى نشفت المياه على الأرض"[2].

وفي نفس الأصحاح:

"ورجعت المياه عن الأرض رجوعًا متواليًا، وبعد مئة وخمسين يومًا نقصت المياه"[3]، وعلى ذلك، فرواية تخبرنا أن مدة الطوفان أربعين يومًا، وأخرى تخبرنا أنها كانت مائة وخمسين يومًا.

أما نصوص القرآن الكريم فقد سكتت عن تحديد مدة الطوفان، وذلك كعادة النصوص القرآنية التي تغفل الكثير من التفصيلات التي تخرج عن الهدف الأساسي من القصة، الا وهو العظة.

حادي عشر: انتهاء الطوفان:

في أسطورة «زيو - سدرا» نجد أن الطوفان قد انتهى فجأة وبدون أية مقدمات:

وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طوال سبعة أيام وسبع ليال

---

(1) تكوين : 7 : 17 .

(2) تكوين : 8 : 6 ـ 7 .

(3) تكوين : 8 : 3 .

http://kotob.has.it

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

أشرقت الشمس وأضاءت الأرض والسماء

أما في أسطورة «أوتو نبشتم» فقد سبق انتهاء الطوفان هدوء العواصف وسكونها، وكذلك هدوء البحر:

ولما حل اليوم السابع خفت وطأة الزوابع

وكانت قبلها كالجيوش المحاربة

ثم هدأ البحر وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان

وفي نصوص التوراة نجد أن الطوفان قد انتهى بتوقف السماء عن المطر وانسداد ينابيع الأرض :

"وأجاز الله ريحًا على الأرض فهدأت المياه. وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء ورجعت المياه عن الأرض رجوعًا متواليًا"[1].

وفي نصوص القرآن نجد أن الطوفان قد انتهى بنفس الأسلوب الذي انتهى به التوراة:

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾[2] وقد سبق وشرحنا هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل السابق.

---

(1) تكوين : 8 : 1 - 2 .

(2) هود: من الآية 44 .

http://kotob.has.it

ثاني عشر: استقرار السفينة على جبل:

تتفق المصادر الثلاثة على أن السفينة قد استقرت على جبل، وإن اختلفت في تحديد اسم هذا الجبل.

جاء في أسطورة «أوتو - نبشتم»:

واستقر الفلك على جبل "نصير"[1]

أمسك جبل "نصير" بالسفينة ومنعها من الحركة

والرأي السائد بين معظم الباحثين في المسماريات أن جبل «نصير» أو نيسير يقع في منطقة كردستان وتحديدًا على بعد حوالي 450 كيلو مترًا إلى الشمال من مدينة «شروباك» (تل فاره) في كردستان الحالية. ويرجح الأستاذ طه باقر أن يكون معنى الاسم هو جبل الخلاص، كما يذكر أنه ورد في أخبار الملك الآشوري «آشور - ناصر بال» تحديد موقعه جنوبي وادي الزاب الصغير أحد روافد نهر دجلة. وعينه بعض الباحثين بجبل «بيره مكرون» بالقرب من السليمانية[2].

أما في التوراة فكان اسم الجبل هو «أراراط»:

"واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من

---

(1) البعض يقرأه «نيسير» بالسين بدل الصاد.

(2) طه باقر - ملحمة كلكامش- ص 171 بالهامش. ود. عبد الغفار مكاوي - ملحمة جلجامش - ص 244 - هامش 171 .

ود. فاضل عبد الواحد علي. الطوفان في المراجع المسمارية - ص 93 - هامش 118. وفراس السواح - مغامرة العقل الأولى - ص 191 .

http://kotob.has.it

الشهر على جبل أراراط»[1].

وأراراط في الحقيقة ليس بجبل، ولكن عبارة عن تحوير للاسم القديم «أورارطو Urartu» والذي يقصد به بلاد أرمينية.

أما في القرآن الكريم، فلم يرد اسم الجبل الذي استوت عليه السفينة إلا مرة واحد فقط في سورة هود:

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾[2].

وقد اختلفت أقوال المفسرين حول المقصود بـ «الجودي» وتحديد مكانه، وجدير بالذكر أن كل هذه الأقوال لم ينسب أي منها إلى الرسول ﷺ، وإنما هي مجرد اجتهادات . وهذه الأقوال هي:

١ - الجودي جبل بقرب الموصل.

2 - الجودي اسم لكل جبل، ومنه قول عمرو بن نفيل:

سبحانه ثم سبحانا يعود له   وقبلنا سبح الجودي الجمد

3 - الجودي من جبال الجنة فلهذا استوت عليه.

وفي حقيقة الأمر نجد أن القرآن الكريم لم يعن بهذا الأمر، لأنه من قبيل التفصيلات التي كثيراً ما أخفاها عن القرآن لحكم يعلمها الله سبحانه

(ا) تكوين: 8 : 4 .

(2) هود: من الآية 44 .

http://kotob.has.it

وتعالى.

وإذا كان البعض يحاول معرفة مكان الطوفان بتحديد مكان الجبل الذي رست عليه السفينة، نقول: إن هذا التحديد ليس بشرط لمعرفة مكان الطوفان، ذلك لأن من المحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى قد أبدل نوحًا ومن معه أرضًا غير الأرض التي كانوا يقيمون فيها، أو أن السفينة قد استقرت على جبل بعيدًا كل البعد عن مكان الحدث، ثم عادت بعد فترة مرة أخرى، وعلى ذلك فلا ارتباط بين مكان الجبل ومكان حدوث الطوفان. والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل السادس

الطوفـــان بين العالمية والإقليمية

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل السادس

الطــوفـــان
بين العالمية والإقليمية

تعرضنا في أكثر من موضع على صفحات هذا الكتاب - خاصة عند بحثنا لموضوع الطوفان في القرآن الكريم - لإشكالية المساحة التي شملها الطوفان، فهل كان الطوفان إقليميًا؟ بمعنى أنه شمل إقليم معين أو منطقة معينة، أم كان عالميًا؟ بمعنى أنه شمل الكرة الأرضية بأسرها.

أولاً: في النصوص الأسطورية:

النصوص الأسطورية التي اعتمدنا عليها في هذا الكتاب صريحة في أن الطوفان لم يشمل إلا حيزًا صغيرًا، وهذا الحيز هو بعض المدن في العراق القديم، ففي أسطورة «زيو - سدرا» نجد أن الملوكية نزلت من السماء على الأرض في خمس مدن هي: «أريدو» و«باد - تبيرا» و«لاراك» و«سبار» و«شروباك».

http://kotob.has.it

ويجب أن نضع في اعتبارنا أن أصحاب الحضارات القديمة سواء في العراق أو مصر أو أي حضارة وصلت إلى درجة معينة من الرقي كانت تعتبر نفسها هي الحضارة الوحيدة، وأن أهلها هم البشر فقط، ومن عداهم هم مجرد همج، لذا فهم عندما يتحدثون عن أنفسهم يقولون «كل الناس» أو «جميع البشر» ولا يقصدون إلا أنفسهم فقط.

جاء في أسطورة «زيو - سدرا»:

وجرف عباب الطوفان جميع المدن

وبعد أن ظل الطوفان يجرف جميع البلاد طوال سبعة أيام وسبع ليال

فهنا تعبير «جميع المدن» و«جميع البلاد» لأكبر دليل على أن الطوفان لم يشمل إلا عدة مدن أو عدة بلاد، أي أن الرقعة الجغرافية التي شملها الطوفان كانت صغيرة ومحدودة.

أما «أوتو - نبشتم» في قصته فإنه يقلص المساحة، فيقول لجلجامش مخبرًا إياه أنباء الطوفان فيقول:

سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة

"شروباك" المدينة التي تعرفها

التي تقع على شاطئ الفرات

لقد شاخت المدينة والآلهة في وسطها

http://kotob.has.it

فعزم الآلهة العظام وقتئذ على إحداث الطوفان

إذن فمكان الطوفان طبقًا للنص السابق هو مدينة «شروباك» التي تعرف أطلالها الآن باسم «تل فاره» بالقرب من مدينة الوركاء العراقية، وكانت من المدن السومرية الشهيرة.

بعد ذلك كان على «أوتو - نبشتم» أن يخبر قومه بخبر الطوفان، لكنه لا يعرف كيف يخبرهم بوقوع الكارثة:

ولكن ما عساني أن أقول للمدينة؟

ولم يقل «ما عساني أن أقول لسكان الأرض أو لأهل الأرض»، وفي هذا دليل على إقليمية الطوفان

وعندما يعُدد من أركبهم في السفينة يقول:

وجميع الصناع أركبتهم

فهل عرف «أوتو - نبشتم» جميع الصناع على وجه الأرض؟!

أما قوله: وتحطمت الأرض كما تتحطم الجرة.

فهو هنا يتحدث عن الأرض التي رآها ببصره، فمن المستحيل أن يرى كل سطح الأرض.

وبالمثل قوله: ورأيت البشر وقد عادوا جميعًا إلى طين.

فيمن المستحيل كذلك أن يرى كل البشر الموجودين على سطح الأرض.

أما «أترا حاسس» فإنه يخبر قومه بخبر الكارثة بطريقة غير مباشرة حتى

http://kotob.has.it

لا يصيبهم الذعر فيقول لهم:

إن إلهي على خلاف مع إلهكم

إن "إنكي" و"إنليل" غاضب أحدهما على الآخر

لقد أخرجاني وطرداني من بيتي

ولأنني أخص "إنكي" بالتبجيل

فإنه أخبرني الأمر

ولذلك فلن أستطيع العيش في مدينتكم

ولا أستطيع أن أضع قدمي على أرض "إنليل"

فقوله : "وطرداني من بيتي" وكلمة «مدينتكم» فيها تحديد لمساحة الطوفان.

وفي نفس الأسطورة ناحت الإلهة «ننتو» وبكى الآلهة من أجل البلاد:

لقد ناحت "ننتو" بكل حرارة عاطفتها

وبكى الآلهة معها من أجل البلاد

فالنواح والبكاء لم يكن لأجل جميع الأرض، بل كان فقط لأجل البلاد، مما يدل على إقليمية الطوفان.

وعلى هذا، فجميع النصوص الأسطورية تجمع على إقليمية الطوفان، وأنه لم يشمل إلا رقعة صغيرة من أرض العراق.

http://kotob.has.it

ثانيًا: في نصوص القرآن الكريم:

نصوص القرآن الكريم منها ما جاء صريحًا يستفاد منه، وبدون بذل أي مجهود ذهني، أن طوفان نوح كان طوفانًا إقليميًا، ومن النصوص ما يحتاج إلى إعمال العقل ليثبت نفس المقولة، وهي إقليمية الطوفان. ولنعرض الآن لهذه النصوص.

ولكن علينا في البداية أن نجيب على هذا التساؤل: لمن أُرسل نوح عليه السلام؟ نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أجابنا على هذا التساؤل في خمس مواضع:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(1).

وقوله سبحانه:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(2).

و ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(3).

و ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾(4).

---

(1) الأعراف: 59 (2) هود: 25 .
(3) المؤمنون: 23 . (4) العنكبوت: 14 .

http://kotob.has.it

و ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وعلى ذلك فنوح عليه السلام قد أرسل إلى «قومه» فقط، ولم يُرسل لجميع أهل الأرض، إذ لو كان الأمر كذلك لجاء في حقه مثلما جاء في حق محمد ﷺ حيث يقول الله - عز وجل:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

و ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

- كذلك كان يخاطب نوح عليه السلام من أُرسل إليهم بكلمة «قوم»:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾[4].

و ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾[5].

و ﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[6].

- كذلك اقترن قوم نوح بغيرهم من الأقوام الذين عاشوا في إقليم معين ونزل عليهم عقاب السماء جزاء ما اقترفوه من آثام:

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[7].

---

(1) نوح : 1 .
(2) الأنبياء: 107 .
(3) الفرقان : 1 .
(4) هود: من الآية 28 .
(5) هود: من الآية 29 .
(6) هود: 30 .
(7) التوبة: 70 .

http://kotob.has.it

ويزيد الأمر تفصيلاً في قوله تعلى على لسان نبيه شعيب:

﴿ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[1].

فلم يقل أحد أن شعيبًا أو هودًا أو صالحًا أو لوطًا قد أرسلوا إلى الناس جميعًا، وإنما أرسلوا إلى أقوامهم وفي منطقة جغرافية محددة، وطالما تم عطف قوم نوح عليهم، فإنه يجري عليهم ما جرى على هؤلاء الأقوام من حيث الإقليمية.

- ذكرنا أن بعض المفسرين قد استدلوا على عالمية الطوفان من قوله تعالى:

﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[2].

وقوله: ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[3] وقد سبق ودحضنا هذا القول في الفصل الخاص بقصة الطوفان في القرآن الكريم فارجع إليه.

- كذلك استدل البعض على عالمية الطوفان من قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4]، كذلك نحيل القارئ إلى الفصل الخاص بقصة الطوفان في القرآن ففيه رد شاف

- كذلك قد يستدل البعض على عالمية الطوفان بقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[5]. والرد على ذلك

(1) هود: 89 .
(2) هود: من الآية 40 .
(3) المؤمنون : من الآية 27 .
(4) الأنبياء: 77 .
(5) نوح : 26 .

http://kotob.has.it

في غاية السهولة، فكلمة «أرض» في هذا الموضع لا تعني جميع الأرض، ولكنها تعين فقط الإقليم الذي يعيش فيه نوح وقومه، وذلك مثل قول الحق سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام:

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ﴾[1]، فخزائن الأرض هنا تعني أماكن تخزين الغلة الموجودة على أرض مصر، وتمكين الله سبحانه وتعالى ليوسف في الأض لم يكن في جميع الكرة الأرضية ولكن في مصر فقط.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه يجب أن يفسر المتشابه في إطار المحكم، وإذا كان محكم القرآن يقول بإقليمية الطوفان فعلى ذلك يجب أن يفسر أي متشابه قد يوحي بعالميته وليس العكس. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[2].

وعلى هذا ، فجميع نصوص القرآن الكريم التي وردت في شأن الطوفان تتكاتف جميعًا، وتعلن أن الطوفان الذي أرسله الحق سبحانه وتعالى على قوم

---

(١) يوسف (55 ـ 56).

(2) آل عمران: 7 .

http://kotob.has.it

نوح لم يكن إلا طوفانًا إقليميًا، في منطقة جغرافية محدودة، هي المنطقة التي عاش فيها نوح وقومه.

ثالثًا: في نصوص التوراة:

بذل مدونو التوراة جهدًا لا ينكر لإثبات عالمية الطوفان، وأنه لم يقض على البشرية في جميع أرجاء الأرض فحسب، بل قضى كذلك على كل الحيوانات الموجودة على ظهر الأرض آنذاك، بحيث لم ينج من البشر ومن الحيوان، إلا من ركب السفينة.

ومن العبارات التي استدلوا بها على عالمية الطوفان:

"فقال الرب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته"[1]

و"امحو عن وجه الأرض كل قائم عملته"[2] "فمات كل جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. كل ما في أنفه نسمة حياة من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض" [3].

بداية نقول إن «الأرض» التي محا الله عن وجهها الحياة لم تصرح النصوص التوراتية أنها تعني الأرض بأجمعها، أي كوكب الأرض ككل. ولنعطي مثالاً لذلك، فلو حدث فيضان أغرق الأرض المزروعة الخاصة بإقليم معين،

---

(1) تكوين : 6 : 7 .

(2) تكوين : 7 : 4 .

(3) تكوين : 7 : 21 ـ 23 .

http://kotob.has.it

وسألت أحد سكان هذا الإقليم؛ ماذا أحدث الفيضان؟ سيجيبك: أغرق الأرض كلها. وهو بالطبع لا يعني أن كوكب الأرض قد أغرق من جراء هذا الفيضان.

وفي نصوص التوراة أشياء من هذا القبيل، ففي قصة يوسف عليه السلام:

"وأثمرت الأرض في سبع سني الشَّبع بحُزَم"[1] وكذلك:

"وكان الجوع على كل وجه الأرض"[2]، والمقصود بالأرض في النصين مصر، وليس كوكب الأرض.

وباستقراء النصوص التوراتية -في هذا الشأن- وإعمال العقل فيها، سنجد أن المنطق يرفضها، والوجدان يلفظها، فطبقًا لنصوص التوراة فقد أركب نوح في السفينة من جميع البهائم والطيور الطاهرة سبعة سبعة، وغير الطاهرة اثنين[3] ويذكر النص بعد ذلك:

"لأني بعد سبعة أيام أيضًا أمطر على الأرض أربعين يومًا"[4].

ولك أن تتخيل، آلاف من الأصناف الطاهرة التي سيدخل منها نوح إلى السفينة سبعة سبعة، وغير الطاهرة اثنين اثنين، ونؤكد - وطبقًا للنص -من جميع الأصناف والأجناس الموجودة على ظهر الأرض، فكم يستغرق هذا من الوقت؟ وكم يحتاج هذا الكم من مساحة؟! وكم يحتاج هذا العدد المهول من

---

(1) تكوين : 41 : 47 .
(2) تكوين : 41 : 56 .
(3) تكوين : 7 : 2 ـ 3 .
(4) تكوين : 7 : 4 .

http://kotob.has.it

الحيوانات من طعام؟! وكم يحتاج من عناية؟! مع العلم أن السفينة فيها من البشرة ثمانية أفراد فقط، هم نوح وأهله!!

- باستقراء نصوص التوراة نجد أن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام ألف وستمائة وست وخمسين سنة 1656، وفي ذلك الوقت ألم يكن عدد البشر بالآلاف، بل بالملايين، فكل هذا العدد لم يؤمن منه بالله إلا ثمانية أشخاص هم نوح وأهله؟! فكل من في الأرض كفر بالله وعصاه إلا هؤلاء الثمانية؟!

- وباستقراء النصوص التاريخية نجدها ترفض فكرة عالمية الطوفان، فعلى سبيل المثال لم يعرف الفرس الطوفان، وقد جاء في تاريخ الطبري:

«فأما الفرس فإنهم لا يعرفون الطوفان ويقولون: لم يزل الملك فينا من عهد جيومرت. وقالوا: جيومرت هو آدم يتوارثه آخر عن أول إلى عهد فيروز بن يزدجر بن شهريار، وقالوا: ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع وملك القوم قد اضمحل. وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه، وأن مساكن ولد جيومرت كانت بالمشرق فلم يصل ذلك إليهم»[1].

وسواء أقر الفرس بالطوفان، أو أقروا أنه كان قريبًا منهم ولم يصل إليهم، فإن ذلك دليل على إقليميته.

- وإذا كان الطوفان قد حدث حوالي سنة 3000 ق. م، وإذا افترضنا أنه

(1) تاريخ الطبري (1 / 63).

http://kotob.has.it

كان عالميًا، فلماذا لم تدمر حضارة مثل حضارة مصر الفرعونية، وكل شواهد التاريخ والآثار تدل على أن الحضارة الفرعونية قد نشأت قبل هذا التاريخ، ولم تنقطع، فعلى سبيل المثال نجد أن الوحدة الأولى لمصر قد تحققت عام 4242ق. م، أي قبل الطوفان بأكثر من ألف عام، وتحققت الوحدة الثانية على يد الملك مينا سنة 3200 ق. م ، وعلى مدار تاريخ مصر الفرعونية لم ينقطع تسلسل الملوك ولا الأسرات، كذلك لم تعرف مصر الفرعونية خبر الطوفان، إذ لو عرفته لدونته مثلما دونه أهل العراق القدماء. وهذا وإن دل فإنما يدل من ناحية على إقليمية الطوفان، ومن ناحية أخرى على أن موطن الطوفان كان العراق القديم، إذ أنه الشعب الوحيد الذي دون خبر الطوفان بدقة تكاد تقارب ما دوّن في النصوص السماوية.

رابعًا : هدف اليهود من قولهم بعالمية الطوفان:

بداية نقول: إن كل شعب من الشعوب القديمة، وكل حضارة من الحضارات العتيقة كانت تعتبر أن شعبها هو الشعب الأنقى، الشعب الحقيقي، إذ هو البشر وما عداه هم البرابرة والهمج، مجرد عبيد، وقد ظهرت هذه الفكرة في مختلف الحضارات الكبرى، كحضارة وادي النيل وحضارة بلاد الرافدين، واليهود أو بني إسرائيل، وإذا لم يكونوا أصحاب حضارة، إلا أنهم اعتنقوا فكرة أنهم شعب الله المختار، ومن هنا فقد طوعوا كل نصوص التوراة لتخدم هذه الفكرة، وأضافوا إلى النصوص - بأقلام التحريف- ما يدعمها.

وقد رأينا كيف أنهم حاولوا جاهدين - وإن كانت الألفاظ لم تخدمهم- إثبات عالمية الطوفان، وقولهم بعالمية الطوفان ليس هدف في حد ذاته، ولكنه

http://kotob.has.it

لتدعيم فكرة كونهم شعب الله المختار، فكيف تم هذا؟ تقول نصوص التوراة مخبرة إيانا بما حدث بعد الطوفان:

"وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك سامًا وحامًا ويافث. وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض.

وابتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرمًا . وشرب من الخمر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب الإله سام. وليكن كنعان عبدًا لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبدًا لهم."[1].

ومن قراءة النص التوراتي السابق عرضه يستبين لنا أن جل هدف مدوني التوراة من هذه الإضافة يتمثل في التمييز العرقي لبني إسرائيل، وتميزهم على الكنعانيين الذين طالما دخلوا معهم في صراعات لبسط النفوذ على الأرض الذين يصرون على أنها الأرض الموعودة. وعلى كل حال، فإن كل كلمة في هذا النص الذي وضع خصيصًا لتمييز اليهود وإن شئت الدقة لتمييز بني إسرائيل على من عداهم باعتبارهم من الساميين - سلالة سام بن نوح- نقول: إن هذا النص لا يسلم من النقد، بل إن كل كلمة فيه تعلن صارخة بأنها من

(1)تكوين : 9 : 18 - 26.

http://kotob.has.it

وضع البشر، وأن أقلام التحريف هي التي خطّت حروفها، وستتضح لنا هذه الوجهة من النظر من خلال النقاط الآتي ذكرها:

- نجد أن النص قد جعل من نبي الله نوح عليه السلام ، والذي أنقذه الله وبنيه من أهوال الطوفان، ذلك النبي التقي الورع رأيناه لا شاغل له إلا زرع الكرم، وصنع الخمر، والسُّكر، والتعري داخل خبائه، فهل ترك نوح عليه السلام النبوة وانشغل بشرب الخمر، ألم تقل عنه نصوص التوراة أنه:"وجد نعمة في عيني الرب"[1]، وأنه كان "رجل بارًا كاملاً في كل أجياله"[2]، فانظر إلى حال اليهود، وكيف أنهم من أجل تحقيق هدف عنصري يجعلون الأنبياء يرتكبون الفواحش!!

- جعل النص «حامًا» مجرد رجل ساذج لا يستطيع التصرف في أتفه الأمور، فلم يقدر على أن يأخذ قرارًا بستر عورة أبيه، ولم يتركه حتى يفيق ويستر هو عورته بنفسه، بل ذهب إلى إخوته ليخبرهم بالأمر، وكأن تعري رجل سكير - كما هو بالنص- في خبائه أمر تهتز له الأرض ، وتشكل بسببه المصائر!!

- النص لم يذكر لنا سبب دخول «حام» على أبيه ، ونجده فسر لنا بطريقة تفصيلية كيفية ستر «سام» و«يافث» لعورة أبيهما بأن وضعا الرداء على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، ووجهاهما إلى الوراء، وكل ذلك حتى يثبت كاتبو النص أن «سامًا ويافث» لم يبصرا عورة أبيهما، وكأنهما بهذا العمل (البطولي

---

(1) تكوين : 6 : 8.

(2) تكوين : 6 : 9.

http://kotob.has.it

الفذ) قد استحقا - لا سيما سام- أن يكونا وذريتهما فوق الجميع.

- لو تصورنا الواقعة - على فرض حدوثها - بمنطقية سنجد أن نوحًا- وحاشا لله- يشرب الخمر في خبائه حتى ثمل، ثم أراد «حام» أن يدخل عليه لأمر ما، فمن الطبيعي أن يستأذن ، ومن الطبيعي أن يأذن له أبوه بالدخول حتى وإن كان عاريًا، وذلك لأنه في حالة سُكر، ولا يدري ماذا فعل بنفسه، فمن الطبيعي والحال هكذا ، أن يبصر «حام» نوحًا وهو عريان لأنه لم يدر بخلده أن أبيه نبي الله يفعل هذا في خبائه، وكذلك من الطبيعي أن يحترز «سام ويافث» فلا يبصرا عورة أبيهما لأن «حامًا» قد أعلمهم مقدمًا بالوضع الذي عليه أبيهم، فما هو الجرم الذي فعله حام؟ فلو كان يعلم أن أباه قد تعرى لاحترز، ولكن كاتب التوراة لم يشأ إلا لعن ذرية حام.

- لو افترضنا جدلاً أن «حامًا» قد ارتكب جرمًا فاحشًا وذلك لرؤيته عورة أبيه السكير، فلماذا لم يُلعن هو؟! ولماذا لعن« كنعان» بالذات؟! فنصوص التوراة صريحة في أن كنعان ليس هو الابن الوحيد لحام، بل إنه الابن الأصغر، وفي ذلك تقول نصوص التوراة : "وبنو حام: كوش، ومصرايم، وفوط، وكنعان"[1]، والأمر واضح للعيان، فكاتب التوراة أراد أن يحط من قدر «كنعان» والكنعانيين بالذات عمن سواهم، لذا اختاره - بطريقة تثير الشفقة على سذاجة هذا الكاتب - من بين أولاد حام.

---

(1) تكوين : 10 : 6.

http://kotob.has.it

- لم يذكر النص «حامًا» إلا وكنّاه بأبي «كنعان»، وكأنه لم يولد له غيره، وفي المقابل لم يكنى لا «سام» ولا «يافث»، وفي هذا إصرار من كاتب النص على أنه سيلعن كنعان بالذات.

- كان من الإنصاف أن يحصل كل من سام ويافث على نفس الوعد، لأنهما تساويا في فعلهما الطيب، إذ أنهما سترا عورة أبيهما، ولكن كاتب النص -العنصري- أراد أن يميز سامًا وذريته، فجعل البركة لسام، أما يافث فكل ما ناله هو السكنى في مساكن سام، وهذه مغايرة في الوعد لا تتفق مع وحدة الفعل.

- أصبح كنعان عبد العبيد، ولكن لمن؟ لإخوته، ولأبناء سام، ولأبناء يافث، فماذا فعل أخوة كنعان من فعل طيب حتى يصبح كنعان بالذات عبدًا لهم؟! أو لم يخطئ أبوهم؟! فلماذا هذه المغايرة؟! وبالمثل ما الذي تميزت به سلالة سام ويافث حتى تغدو سلالة كنعان عبيدًا لهم؟!

- نسي كاتب هذا النص أن الله - وبنص التوراة- قد بارك جميع أبناء نوح، ولم يستثن منهم أحدًا، تقول النصوص:

"وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض"(1).

وفي النهاية نقول: إن كل الشواهد صريحة في أن هذا النص - وغيره كثير- أُقحم على نصوص التوراة، لغرض عرقي عنصري، وذلك محاولة من اليهود لتمييز أنفسهم عن الآخرين، وليثبتوا بطريقة مفضوحة أنهم شعب الله

---

(1) تكوين : 9 : 1

http://kotob.has.it

المختار، وقد لعب اليهود المحدثون على هذا الوتر، وروجوا لما أسموه بالسامية، وكأنهم هم الساميون الوحيدون في هذه الدنيا، ونسوا أنهم أصغر جزء من الشجرة السامية، تلك الشجرة التي لو علمت أن اليهود ستستغلها هذا الاستغلال لاجتثت نفسها من جذورها، ولكن هذه إرادة الله الذي لا تعلو كلمة فوق كلمته.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

قائمة بأهم المصادر

- المصادر التاريخية والأسطورية:

- توماس بلفينش - عصر الأساطير - ترجمة : رشدي السيسي - مراجعة: د. محمد صقر خفاجة - دار النهضة العربية - القاهرة 1966.

- طه باقر - ملحمة كلكامش - ط 1- دار الوراق للنشر المحدودة - لندن - 2006.

- د. عبد الحميد زايد - الشرق الخالد - دار النهضة العربية - القاهرة - 1966.

- د. عبد الغفار مكاوي - ملحمةجلجاميش.

- د. فاضل عبد الواحد علي - الطوفان في المراجع المسمارية - جامعة بغداد -1965.

د. فاضل عبد الواحد علي - بحث منشور بالفصل التاسع ضمن مجموعة أبحاث تحت عنوان (العراق في التاريخ) - دار الحرية للطباعة- بغداد - 1983.

- فراس السواح - مغامرة العقل الأولى - دار علاء الدين - دمشق -

http://kotob.has.it

.2002

- ول ديورانت - قصة الحضارة - جـ(2) - ترجمة : زكي نجيب محمود ومحمد بدران - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2001.

المصادر الإسلامية:

- أبو الفداء إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم - القاهرة.

- أبو جعفر بن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) بيروت .2003

- أبو جعفر بن جرير الطبري - جامع البيان في تأويل آي القرآن - (تفسير الطبري) القاهرة.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - القاهرة.

- رحمت الله الهندي - إظهار الحق - تحقيق وتعليق د. أحمد حجازي السقا- مكتبة النافذة - القاهرة - 2005.

- محمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح - دار الحديث - القاهرة.

http://kotob.has.it

أهم إصدارات المؤلف

1 - الشيعة (النشأة السياسية والعقيدة الدينية).

2 - المعتزلة (نشأتهم - فرقهم - آراؤهم الفكرية)

3- زواج المتعة (بين الإباحة والتحريم عند الشيعة وأهل السنة)

4- الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية.

5 - الرسول ﷺ والسيف (دراسة للنظرية القرآنية في الجهاد والحرب وتطبيقاتها في الدعوة المحمدية).

6- إزهاق الباطل (الرد على شبهات القمص زكريا بطرس).

7- البوذية (عقيدة دينية أم دعوة إصلاحية).

8- أساطير سومر وبابل.

9- خلق الكون (بين إلحاد الأسطورة وتوحيد الدين السماوي).

10- حمورابي (الملك المشرّع).

11- ملحمة جلجامش.

12- قصة الطوفان (في نصوص الأسطورة والتوراة والقرآن).

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفهرس

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.